شرح

ثلاثة الأصول

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

حقوق الطبع محفوظة

1444هـ - 2022م

شرح
ثلاثة الأصول

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

شرح
فضيلة الشيخ

محمد بن رمزان الهاجري

إعــداد

أحد طلبة الشيخ

غفر الله له

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

إن الحمد لله، نحمده تعالىٰ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

معاشر الفضلاء لا يخفىٰ عليكم شرف العلم ومنزلته، وما أعده الله للعلماء والمتعلمين وما ميزهم فيه عن العالمين من الثواب العظيم، والفضل الجزيل، والدرجات العظيمة والخيرات الوفيرة، التي يجدون ذخرها عند الله عز وجل يوم يلقونه.

هذه خمسة مجالس في شرح ثلاثة الأصول وأدلتها، فرغتها بإذن من الشيخ محمد جزاه الله خيرا، وقد أذن لي بجمعها وإعدادها لا حرمه الله الأجر.

وقد كانت هذه الدورة في جامع خليل بن سبعان بحي طويق في الرياض.

وهذه الأصول هي أسئلة القبر.

يُسأل العبد وهو بين أطباق الأرض عن ربه ودينه ونبيه.

فحري بالمسلم الموحد أن يهتم بهذه الأصول وأن يتعلمها ويعلمها ويحفظها وينشرها بقدر الاستطاعة؛ لعله ينجو والله الموفق.

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح والفقه في الدين وصل الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

كتبه

النــاشــر

الكويت/ ٢٤ شعبان ١٤٤٣هـ

مقدمة الشارح

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فلقد يسر الله في أحد الدورات العلمية شرح الأصول الثلاثة وتم تفريغها من قبل أحد المهتمين وفقه الله لكل خير، ولا مانع عندي من نشر هذا الشرح بعد تفريغه وإحالة الأحاديث والآيات إلىٰ مصادرها، وفق الله الجميع لكل خير وصل الله وسلم علىٰ محمد، شاكر لكل من كان له سبب في نشر العلم.

قاله:

محمد بن رمزان الهاجري

٢٤شعبان ١٤٤٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فالحمد لله علىٰ ما من به من هذا اللقاء المبارك بهذا اليوم العلمي، جعلنا الله وإياكم في ركاب العلم وأهله، ورزقنا الله وإياكم العمل والإخلاص والصدق فيما نأتي ونقول ونفعل، وعلىٰ بركة الله نبدأ مستعينين منه المدد والسداد والرشاد.

هنا هذه الرسالة «ثلاثة الأصول وأدلتها» وهذا هو العنوان الصحيح، لأن هناك «الأصول الثلاثة» رسالة مختصرة ليست كهذه الرسالة، أما هذه الرسالة المعلوم أن اسمها «ثلاثة الأصول وأدلتها» لكن اشتهر عند الناس أنه لا فرق بين الرسالتين وأن العنوان واحد وهو «الأصول الثلاثة» ولكن الصحيح ما ذكرناه آنفًا.

عن ماذا تتكلم هذه الرسالة؟

هذه الرسالة تتكلم عن أمور العقيدة، وقرأنا هذه الرسالة علىٰ شيخنا رحمة الله عليه الشيخ عبد العزيز بن باز وغيره من أهل العلم، واستفدنا من توجيهاتهم، وممن قرأناها عليهم الشيخ صالح آل الشيخ وفقه الله – معالي الوزير السابق – وأيضًا شيخنا الشيخ محمد آمان الجامي رحمة الله عليه، وكذلك جملة من

المشايخ.

من كلمات شيخنا الشيخ بن باز الجميلة التي في الحقيقة تُحفظ تُنقل، يقول:

هذه الرسالة إذا ضبطها العامّي كفته في باب الاعتقاد، ما معنىٰ هذا؟ معناه أنها تناولت أصول الاعتقاد.

ما العقيدة؟

العقيدة ما ينعقد عليه القلب، (الله، رسوله، كتبه، اليوم الآخر، القدر خيره وشره) هذا هو الإيمان، كانوا قديمًا إذا ألفوا في الكتب يذكرون ما يتعلق بأمور الاعتقاد وأمور الفقه وأمور الأخلاق والسلوك والمعاملة، وبعد ذلك أصبحوا يفردون، يعني الناظر في صحيح البخاري وصحيح الإمام مسلم يجد فيها باب كتاب الوحي وشيء في العقائد وباب في الإمارة، وباب في الأحكام، باب في الزكاة، وكتب في صحيح البخاري تناولت جملة. بعد ذلك استقر التأليف علىٰ أن كتب الاعتقاد أصبحت تكتب لوحدها ويتناولون فيها أحكام العقائد، وكتب الفقه يتناولونها كذلك، فهم يشرحون أركان الإسلام الخمسة، فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وما يتعلق بها من أمور الاعتقاد وما ينعقد عليها القلب أُخرجت في مؤلفات، وبعض هذه الأشياء أُردت في مؤلفات مستقلة، فهناك من يكتب مثلاً فيما يتعلق بالأسماء والصفات، وهناك من يكتب مثلاً في توحيد الألوهية، أُخرجت هذه المباحث في كتب الاعتقاد.

كما أن في كتب الفقه تبدأ مكملة لأركان الإسلام الخمسة، فتبدأ بالصلاة وقبل أن تبدأ بالصلاة تبدأ بأحكام الطهارة، وقبل أن تبدأ بأحكام الطهارة تبدأ بأحكام المياه، وقبل أن تبدأ بأحكام المياه بعضهم يبدأ بأحكام الآنية، لأن كلها

تترتب علىٰ أحكام، ثم بعد الصلاة يتكلمون عن الزكاة، ثم بعد ذلك عن الصيام إلىٰ أن آخر ما يكتب في أبواب الفقه باب أحكام المرتد الذي خرج من دين الله حمانا الله وإياكم وعافانا من ذلك.

وأفردت كتب الآداب فأصبحت كتب العقائد من قديم قد أفردت وتسمىٰ بكتاب السنة مثلاً، السنة للالكائي، السنة لأحمد، السنة للخلاّل، وبعضهم الشريعة، الشريعة للآجري، وبعضهم التوحيد، التوحيد لابن خزيمة، والتوحيد لابن منده، وبعضهم الإيمان، كالإيمان لابن أبي شيبة، وأبي عبيد، وأيضًا الإيمان لابن منده، وبعضهم يكتبها في أصول الديانة ككتب الإبانة، وبعضهم لأ، يسميها بهكذا بالاعتقاد، ككتاب اعتقاد أهل الحديث للصابوني فكتب العقيدة ليست وليدة العصر حتىٰ يأتينا شخص يقول اسم العقيدة هذا اسم جديد أو هذه الكلمة جديدة، لأ، ما ينعقد عليه القلب له معنىٰ في اللغة وذكروا العقيدة من قديم وهم يبينون فيها أهل العلم.

لماذا سمي ثلاثة الأصول؟

لأنه سيتكلم عن أصول، وهذه الأصول هي أجوبة أسئلة القبر، هذا الكتاب يتناول أجوبة أسئلة القبر.

أسئلة القبر ثلاثة، ما هي؟

«من ربك؟ ما دينك؟ من الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟».

الرسول، ومرسل الرسول هو الله، والرسالة وهي الإسلام.

فهذا الكتاب يتناول الإجابة علىٰ الأسئلة الثلاثة، ما هي الأسئلة الثلاثة؟

سنُسأل في القبر وهي امتحان. بالعادة الامتحانات ما تُسَرَّب أسئلتها ولا أحد يُخبَر بها ولكن هذه الأسئلة التي سنُسأل عنها في قبورنا نحن نعرفها، ولكن العبرة ليس بأنك تعرف السؤال أو تعرف الجواب، هل أنت تمارس ذلك وتعتقد ذلك؟ فإن كنت كذلك أجبت علىٰ ذلك، وإن كنت غير ذلك فلا تستطيع الإجابة علىٰ ذلك.

ولذلك معرفة هذه الأمور ومعرفة أمور الاعتقاد يتعلمها الإنسان وسيأتي ذكر ذلك، لكني أردت أن أعلق علىٰ العنوان «ثلاثة الأصول وأدلتها»، نبدأ...

مقدمة المؤلف

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بسم الله الرحمن الرحيم [١]

---

[١] بسم الله الرحمن الرحيم: هكذا يبدءون الكتب والمكاتبات وبعضهم في خطبة الحاجة، وبعضهم بالحمد والصلاة علىٰ النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم يذكر في المقدمة ماذا يريد، وهذا جرىٰ عليه عادة المؤلفين قديمًا وحديثًا فهو بدأ ببسم الله.

بسم الله: أي به أستعين وأستفتح.

به أبدأ كتابة هذا الكتاب.

فكانت المكاتبات تبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم.

العقود، بسم الله الرحمن الرحيم.

أما الأذكار غالبًا لم ترد إلا بسم الله.

أكل الطعام، بسم الله «يا غلام سَمِّ الله» (١).

---

(١) عن عمر بن أبي سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا غلام، سَمِّ الله، وكُل بيمينك، وكُل مما يليك»، فما زالت تلك طعمتي بعد» متفق عليه. رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب التسمية علىٰ الطعام والأكل باليمين ٥/ ٢٠٥٦ (٥٠٦١)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ٣/ ١٥٩٩ (٢٠٢٢).

لم تأت بسم الله الرحمن الرحيم إلا في المكاتبات وفي افتتاح السور وهي الآية الأولىٰ من الفاتحة، وآية مستقلة في صدر كل سورة، وجزء من آية في سورة النمل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[النمل: ٣٠].

فهذا استفتح وابتدأ بذلك.

فإذا كتب الكاتب وابتدأ فيه ببسم الله فهو ممن اهتدىٰ بهدىٰ الأولين.

المسائل الأربع التي تضمنتها سورة العصر

* اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- [٢]

---

[٢] **اعلم رحمك الله**: اعلم: هنا إخبار، وهذا فيه أمر (اعلم).

رحمك الله: الله أكبر، الدعاء بالرحمة أشد من الدعاء بالمغفرة، أن تقول لشخص غفر الله لك وأن تقول رحمك الله، فالدعاء بالرحمة أشمل من المغفرة، ثم هذه ميزة الشيخ محمد رحمه الله عليه أنه داعية رحمة بخلاف ما يُشاع عنه أنه متشدد وأن دعوته دعوة متشددة! ودائمًا أصحاب السنة يُتَّهمون بأنهم متشددون في الدعوة مستعجلون في نشرها، إذا كان بيانك للحق يُتَّهم بأنه شدة، وإذا كان عدم تأجيلك لنشر البيان يُتهم بأنه استعجال قلبي لي بربك ماذا بقي مما لا يُعاب به أهل الحق من أشياء منفرة ولكن هم يُفخرون وإن قيل فيهم أنهم متشددون ومستعجلون وليس عندهم حكمة وهم منفرون وهكذا من ألقاب السوء التي وُصِفَ بها دعاة التوحيد والسنة.

الشيخ محمد رحمة الله عليه بدأ كتابه (اعلم رحمك الله) يدعو للقارئ، الآن هو بهذا الكتاب الجميع تشمله هذه الدعوة.

أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ: [٣]

---

[٣] **أنه يجب علينا:** الوجوب هنا وجوب علىٰ المكلفين لأن الأحكام التكليفية منها ما هو واجب ومنها ما هو محرم ومنها ما هو مندوب ومنها ما هو مكروه ومنها ما هو مباح.

قوله أنه يجب علينا، هذا الوجوب وجوب عيني لماذا؟

لأن كل منا يجب عليه أن يتعلم العقيدة لأن الله أمر بذلك فقال: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

الْأُولَىٰ: الْعِلْمُ [٤]

---

[٤] **أول ما بدأ قال التعلم**: التعلم يحتاج إلىٰ أمور:

أولاً: معلم ناصح صالح صاحب سنة، لأن المعلم إن لم يكن كذلك فيكون سبب في الانحراف.

إذن المعلم، والمادة التعليمية ماذا تتعلم من المعلم؟ أعظم العلوم وأشرف العلوم هو ما يتعلق بالله ﷻ، عقيدتك، القرآن، كل ما يتعلق بالله، ثم يليه رسول الله ﷺ فهذه أشرف العلوم.

الإخلاص والمتابعة، هذه أشرف العلوم (لا إله إلا الله محمد رسول الله) هذه أشرف العلوم أن تتعلم معنىٰ هذه الشهادة وهي من العلوم الضرورية.

ما معنىٰ العلوم الضرورية؟

أي التي يجب علىٰ كل مسلم أن يتعلمها وإذا قلنا علىٰ كل مسلم يدخل في ذلك الصغير والكبير والذكر والأنثىٰ والإنس والجن الواجب علىٰ الجميع أن يتعلم علم العقيدة لا يكفي فيه التقليد لأن في أسئلة القبر الثلاثة يُجيب المجيب بما يعتقد، وأما من كان يسمع ولم يضبط يقول هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون!

إذن هنا الإجابة يُجيب هو بما يعتقد ويعمل.

أما ذلك فيقول: «هاه هاه لا أدري! سمعت الناس يقولون»(١) انتبه!

---

(١) جاء في الحديث الذي يرويه البراء بن عازب عن الرسول ﷺ: «فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وهي آخر فتنة =

فأمور الاعتقاد تكون بتعلم الأدلة.

ولذلك جميل في العنوان قال ثلاثة الأصول وأدلتها.

فأمور العقيدة لا بد من التعلم وهذا التعلم علم ضروري أي واجب علىٰ الأعيان، وهذه من العلوم الضرورية التي لا يسع الإنسان جهلها، مثل ماذا؟

معرفة التوحيد من الشرك، معرفة الحلال من الحرام، معرفة ما تصح به صلاته وما يبطلها، هذه علوم ما يكفي الإنسان أن يرىٰ الناس ماذا يفعلون فيفعل مثلهم! يجب عليه أن يتعلمها.

مصادر العلم:

سماع، قراءة، مجالسة، أو محاكاة فيما يتلقىٰ الإنسان.

فالمحاكاة: يرىٰ ما يفعل غيره فيفعل مثله.

المجالسة: معهم فحيث ما كانوا كان.

=

تُعْرَض علىٰ المؤمن، فذلك حين يقول الله ﷻ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي، وقال في العبد الكافر أو الفاجر: ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك، قال: فيقولان: لا دريت ولا تلوت فينادي منادي أن كذب عبدي». [رواه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (٤/ ٢٨٧) (١٨٥٥٧)].

السماع: ما يقولون، يستمع له.

القراءة: ما كُتِبَ قرأه.

إذن هذه مصادر التلقي، هذه المصادر للتلقي لا بد أن ينتبه الإنسان فيها لنفسه، لأن منها ما هو صافي ومنها ما هو شهوات، ومنها ما هو شبهات، فإن كان يسمع ويقرأ ويجالس أهل السنة كان سُنِّي سلفي أثري، وإن كان يسمع ويجالس ويقرأ لأهل البدع ما هي أيام إلا وإذا به بدعي!

وإذا كان يسمع ويجالس ويقرأ لأهل المجون والشهوات والمعاصي ما هي أيام إلا وإذا به عاصي مع العصاة.

فانحرافه إما من جهة شهوات أو من جبهة شبهات أو أنه ثابت علىٰ الحق.

ولكن بُلينا بمن اختلطت عليه هذه المشارب الثلاث فكان الانحراف في مساره فتجده مثلاً: يُجالس أهل السنة ويسمع لأهل السنة ويقرأ لأهل البدع فهنا قد كدر صفو مشاربه، فوقع فيه الخلل فتجده مضطرب في اتجاهه، متلون في مقالاته بسبب مصدر من مصادر التلقي عنده أصبح فيه خلل أو فيه دخن، أو أنه تجده يمارس أمور شهوانية، لذلك ربما يجالس أهل المعاصي، يقرأ ويسمع لأهل العلم ولكن انحرف من جهة الشهوات.

وانحراف الشهوات أقل خطورة من انحراف الشبهات ولكنه يوقع مستقبلاً للوقوع في الشبهات، استمراره علىٰ انحراف الشهوات يُضعف جانب قوته في الحق وانكساره أمام الشبهات، فانتبه لنفسك فغالب ما نجد من انحرافات إما من جهة الشهوات أو من جهة الشبهات، إذا كانت هذه الأشياء قد صبَّ بعضها علىٰ بعض فيصبح المخرج مختلط. لماذا؟ لأنه خلط ما بين الحق والشبهة والشهوة

فالناتج غير قويم، غير نقي، غير صافي، غير واضح، كَدِر إذن ماذا يجب عليه؟ أن يجالس أهل السنة فهو يجالس أهل العلم والعلماء ويسمع لهم ويقرأ لهم فإذا به صافي نقي كنقاء الماء وبقدر ما يأتي في هذا الصفاء شيء من الشهوات أو شيء من الشبهات بقدر ما يكدر صفاءه.

فانتبه لنفسك في مصدر التلقي في العلم أن يكون صافي نقي، وهذا الذي أوقع الناس في ثلاثة أمور ما هي؟ جانب العقيدة وجانب الفقه جانب الدعوة والسلوك، فجانب العقيدة تجده في هذه الثلاث يجالس أهلها عناية بالدليل، جانب الفقه أيضًا معتنىٰ بنفس المسلك، جانب الدعوة والمنهج تجده سائر علىٰ الطريق، فالمخرجات = عقيدة سلفية ودعوة سلفية وفقه سلفي، يسير علىٰ خطىٰ الأولين.

العلـــم قـــال الله قـــال رســـوله   قـال الصـحابة هـم أولـوا العرفـان

مـا العلـم نصـبك للخـلاف سـفاهة   بـين الرســول وبــين قــول فــلان

إنما ضبط العلم بالتلقي بهذه المصادر، فأصبح طرحه في العقيدة كذلك، طرحه في الفقه ذا عناية بالدليل، لا يقدم أقوال الرجال علىٰ الحق، إنما يحترم العلماء ويقدم الأدلة فيستعين بالعالم دليلاً إلىٰ الدليل، ولا يجعل العالم دليلاً مستقلاً عن الدليل، بل يدله علىٰ الدليل فلا يضارب بين أقوال العلماء عندما تخالف الأدلة، أما إذا كانت المسألة في الفقه مسألة اجتهادية فهو ينظر ما تترجح به المسألة كما هي في مسائل الخلاف الذي قابل للخلاف، لأن الخلاف الذي لا يقبل كأن يكون في جوانب العقيدة. فليس عندنا في العقيدة خلاف لأن مصدرها قال الله قال رسول الله، مبنية علىٰ أمور غيبية لا سبيل لنا لمعرفتها إلا بالوحي، فلا نقبل قولاً فيها إلا إذا قيل قال الله قال رسول الله فهي مصدرها من هذه الجهة، فلا

خلاف في العقيدة لأنهم يرجعون للأمور الغيبية، الدليل بالوحي.

أما ما يتعلق بالفقه الذي هو الفهم وجانب الفهم فبعهد النبي ﷺ لما ذكر: «**لا يصلينَّ أحدٌ العصر إلا في بني قريظة**»(١) حصل منهم من جانب الفهم، من صلىٰ في الطريق، ومن صلىٰ في بني قريظة بعدما خرج وقتها، ولكن هذا اختلاف تنوع يسوغ فيه الاختلاف، أما اختلاف التضاد في مسائل العقيدة فلا قبول إلا في أمر الدليل الذي أتىٰ به الوحي لأنها أمور غيبية.

أما مسائل الدعوة فهي أمر تعبدي والمنهج ولذلك عُبِّر عن المنهج والاعتقاد كظل العود، فلا يستقيم الظل والعود أعرج، بمعنىٰ أن هناك من انضبطت مسالكهم في العقيدة وفي الفقه وفي الدعوة والمنهج فتجدهم مع الدليل يدورون، ومن الناس من عقيدته ذات توجه سلفي دقيق جدًّا ولكنه وقع في انحرافات في مسألة الدعوة أو المنهج، فتجد بعضهم يقول أن عقيدتنا عقيدة السلف ولكن دعوتنا دعوة التبليغ فيريد أن يجمع ما بين العقيدة السلفية والدعوة التبليغية أو يقول سلفية المعتقد عصرية المواجهة، ليش ما عجبك عصرية مواجهة السلف؟! لا، لأن مواجهة السلف غير مواجهة الخوارج فيريد أن يسلك ما بين مسلك الخوارج ومسلك غيرهم.

انتبهوا في مسألة العلم لأن هناك أيضًا من أصبح مقلدًا جامدًا في جانب الفقه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٢١٩).

عن ابن عمر، قال: قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: «لا يصلينَّ أحدٌ العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتىٰ نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، ثم يرد منا ذلك، فذُكِرَ للنبي ﷺ، فلم يُعَنِّف واحدًا منهم.

وهو في الاعتقاد صافي نقي انتبه من هذه الثلاث.

فمن لي بعالم قد صح مشربه في الاعتقاد وصح مشربه في الفقه وصح مشربه في الدعوة والمنهج هذا الذي نبحث عنه وهم كثر والحمد لله والدنيا مليئة بهم، زادهم الله توفيقًا وهدىً وسدادًا ورشادًا ولكنا بُلينا من أنصاف من يتعلق بأشياء ويضطرب في أشياء فينحرف به بعض طلبة العلم أو بعض السامعة لهم فيحصل هذا التميع أو هذا التلون أو ما يسمونه المخالف لهم فيه أنهم متشددون.

فمسألة العلم لا بد أن يراعي طالب العلم فيها هذه المصادر في التلقي، وهذه المصادر في المخرجات التي لا تعارض ذلك، فالجانب الأول (أدلة ويحذر الشهوات والشبهات) في الجانب الثاني (أن يُعنىٰ بجانب الاعتقاد وجانب الفقه وجانب الدعوة والسلوك وهي ما يسمىٰ بالمنهج).

أما لا يستقيم الظل والعود أعوج، لن ترىٰ ظلاًّ سليمًا لعودٍ أعوج، فإذا كان العود أعوج انحرف الظل، وكذا الدعوة والمنهج عند من فسدت عقيدته ولم يخبرنا فيظهر من خلال دعوته ومنهجه، لماذا انحرف في ذلك؟

لأن أصل اعتقاده عنده فيه اعوجاج فآثر الظل بسبب أن العود أعوج، أما إذا كان غير أعوج فلن تتأثر به، كذلك من اعتنوا بجانب الاعتقاد وانحرفوا في بعض المسالك أنهم أصيبوا من جهة الولاء والبراء والحب والبغض فأصبح محب لمن كان علىٰ هواه مبغض لمن خالفه فلينتبه العبد من هذه الأمور.

وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ [٥]

---

[٥] مسألة العلم في أعظم العلوم (معرفة الله، معرفة نبيه، معرفة دين الإسلام) أي معرفة المرسل، معرفة الرسول، معرفة الرسالة.

ما معنىٰ علوم النافلة؟

العلم منه ما هو علم عيني أي فرض عين، ومنه ما هو فرض كفائي، فالكفائي أي إذا لم يتعلمه وجب من في الأمة أن يتعلمه، كفىٰ به غيره.

مثال:

علم المواريث، هل كل الناس يعرفون؟ تقسيم التركات، يمكن هذا المجلس بعدد الطلبة الحاضرين بارك الله فيهم جميعًا لا يعرف علم الفرائد وتقسيم التركات إلا يمكن لا يعدون علىٰ أصابع اليد الواحدة، فهو علم عزيز لكن هل يأثم من لم يتعلمه؟ لا، إذا كان هناك من قد تعلمه، فقد كفىٰ هؤلاء، فيسمىٰ بالعلم الكفائي، أي كفاه غيره فيه.

فالعلم الضروري وهو فرض عين لا يسع أحد منا يجهله، هذه العلوم، معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام، أن يعرف الله، ويعرف نبيه، ويعرف دين الإسلام.

بِالْأَدِلَّةِ [٦]

---

[٦] ثم ذكر قيد مهم جدًّا وهو إيش؟ «بالأدلة».

ما هي الأدلة؟

إذا قيل الدليل، ما الدليل؟ الأدلة منها ما هي أدلة نقلية، ومنها ما هي أدلة عقلية، فالأدلة العقلية ما يحتاج إلىٰ مقدمات حتىٰ يكون الناتج موافق للمقدمات، يعلم أن هناك حرارة، إما باللمس أو بالمشاهدة، يعني أشياء تربط منها أشياء، فتقود علوم إلىٰ علوم، فيعرف هذا ويعرف هذا، أو يسمع صوت فيعرف أن هذا صوت كذا، أو يشم رائحة فيعرف أنها رائحة كذا، فهنا أشياء بالعقل قد عرفها.

أما معرفة الشرع فهو ليس بالعقل، وإلا هناك عقلاء في العالم، هناك عقلاء في اليابان في روسيا في الصين في الهند في أميركا في أوروبا في أفريقيا في كل مكان عباقرة مخترعين لكن هذا يعبد الصنم، وهذا يعبد بقرة، وهذا يعبد صليب، ما عرفوا الله ﷻ، عقولهم علىٰ قوتها واختراعاتها واتقانها ما عرفوا الله، ثم هذه العقول لا تعرف هذه الأمور الغيبية التي لا سبيل لمعرفتها إلا بالوحي، الصلاة، أحكام الصلاة، هذه الأمور لا بد لها من قال الله، قال رسول الله، شرع، وحي، فهي هكذا بذاتها لا تُعرف.

الأدلة التي هنا يشير إليها الشيخ أدلة الوحي. قال الله، قال رسول الله، قال الصحابة، هذه هي الأدلة التي يُشار إليها.

فإذا قال لك شخص عن أمر من أمور الدين، نفعل كذا، نأتي كذا، علىٰ طول وش الدليل؟ لا نفعل إلا بدليل، كل حياتنا لا بد بدليل ماذا قال الله ﷻ؟

﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[هود: ١١٢] من الذي أمرك؟ الأمر لا بد أن يكون وحي، قال الله قال رسول الله، فاستقم كما أمرت، هذا الأمر هو الدين: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[البينة: ٥].

هذا ديننا، أمر، من لم يستقم علىٰ الأمر، تحت الوعيد.

﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور: ٦٣]

لا تغير ولا تبدّل في الأمر، «**من أَحْدَثَ في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رَدٌّ**»(١).

إذن مدار الأمور مع الأمر والأمر هو الدليل، فندور مع الدليل حيث ما دار، هذا أمر الله، أمر رسول الله.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[الحشر: ٧]

هذا ديننا، ديننا قائم علىٰ الاستجابة، نحن عبيد، والعبد ينفذ أمر مولاه، نحن عباد الله، يا عبد الله، استجب لما أمرك الله ولذلك ميزة أهل الإسلام أنهم قالوا سمعنا وأطعنا فالسمع الإصغاء والطاعة التنفيذ، ولكن غيرهم ماذا قالوا؟ سمعنا وعصينا، هذا بالنسبة للأدلة.

---

(١) رواه البخاري ٢٦٩٧ ومسلم ١٧١٨.

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ [٧]

---

[٧] العمل بالعلم: تعلمت؟ اعمل، تعلمت ولم تعمل بخلاف من عمل من غير علم، لأن العامل بضد ما يتعلم هذا في خطر، وقد قيل فيه:

وعـــالمٌ بعلمـــه لـــم يعلمـــن ... مُعـذبٌ مـن قبـل عُبَّـاد الـوثن

وقال فيه النبي ﷺ من الثلاثة الذين يُبدأ بهم: عالم تعلم ولم يعمل.

«ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم»(١)..انتبه أن يكون علمك حجة عليك.

إذن العلوم أيضًا مختلفة في العمل بها، منها ما هو واجب، ومنها ما هو مندوب، ومنها ما هو مباح كالعلم بالواجبات التي يجب امتثالها، فهو تعلمها وعمل بها، أو المحرمات التي علم حكمها فتركها، من حيث وجوب الفعل أو وجوب الترك، فتعلم الاعتقاد من جهة الواجب، ما معنىٰ هذا؟ الواجب معناه أن

---

(١) [رواه مسلم (١٩٠٥)] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه» رجل استشهد فأتي به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتىٰ استشهدت، فقال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أُمِرَ به، فسُحِبَ علىٰ وجهه حتىٰ أُلقِيَ في النار.
ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأُتِيَ به فعرَّفَهُ نعمه فعرفها، قال: فما عملت بها؟ قال: تعلمت العلم وعلَّمْتَه، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ فقد قيل، ثم أُمِرَ به، فسُحِبَ علىٰ وجهه، حتىٰ ألقي في النار.
ورجل وسَّعَ الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتِيَ به فعَرَّفَهُ نعمه، فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن يُنْفَقَ فيها غلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جَوَّاد، فقد قيل: ثم أمر به فسحب علىٰ وجهه ثم أُلقِيَ في النار

تارك الواجب يأثم.

إذن هذا العلم علم واجب مأجور صاحبه آثم تاركه لأنه من باب الواجبات ليس من علوم النافلة.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ[٨]

---

[٨] تعلمت وعملت، ادعو، الدعوة إلىٰ الله، قد من خلال ما تبث في الناس، مما يسمعونه منك وأنت تكلمهم، محاضرة، كلمة، خطبة، ندوة، درس، في مجلس، حديث، في السوق، في البيت، في العمل، مجرد كلامك ذا بالتذكير بالشيء هذا دعوة إلىٰ الله، هذه دعوة إلىٰ الله، والدعوة إلىٰ الله عبادة، والعبادة يلزم لها شرطين: الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ، ما الدليل علىٰ ذلك؟

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨].

قل هذه سبيلي أدعو إلىٰ الله: هذا طريقي.

أدعو إلىٰ الله: هذا تنبيه للإخلاص.

علىٰ بصيرة: وهي شرط الدعوة (العلم).

أنا ومن اتبعني: الاتباع.

فأنت في دعوتك ليست الدعوة أمرها سبهللة مفلوت، لا، الدعوة عبادة، والعبادة لا بد أن تمارسها وفق ما فعلها من؟ رسول الله ﷺ، فكيف كان يدعو رسول الله أنت تدعو، ولذلك بُلينا بمناهج دعوية انحرفت مثل فرقة البنا وفرقة إلياس.

فرقة البنا المصرية (الإخوان المسلمين) وفرقة إلياس الهندية اللي هم جماعة التبليغ (الأحباب).

الدعوة إلىٰ الله لا بد أن تبنىٰ علىٰ الأدلة، لأن قد يأتيك واحد فيقول يا أخي الدعوة إلىٰ الله بدعة؟؟ كيف تقول هؤلاء بدعة؟؟ لا الدعوة إلىٰ الله ليست بدعة، الدعوة إلىٰ الله عمل صالح.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

لكن هذه مثل الصلاة ومثل الذكر، فتصلي كما صلىٰ رسول الله، تتوضأ كما توضأ رسول الله، ما عندنا صلاة جديدة، ما عندنا وضوء جديد، تدعو كما دعا رسول الله، ما عندنا دعوة جديدة توها جات، واحد نام وشاف له رؤيا وقام وبنىٰ دعوته علىٰ حلم، دعوة قائمة علىٰ حلم هندي، وتنتشر، فأتىٰ بها بأشياء يومية وأشياء أسبوعية وأشياء شهرية، أشياء سنوية، وأشياء عمرية، كل أمور الأدلة مبنية علىٰ نصوص، هذه مبنية علىٰ أشياء هو اخترعها، الدعوة إلىٰ الله ليست بدعة، الصلاة علىٰ النبي بدعة؟ لا والله بالعكس من أشرف العبادات، لكن وفق ما كان يصلي ﷺ، الذكر بدعة؟؟

لا والله بالعكس الذكر شرف عظيم أن يكون العبد من المفردين الذاكرين خير من إنفاق الورق والصيام، ولكن الذكر وفق هدي النبي ﷺ، ليست طريقة جديدة لا، كل العبادات سيأتيك من يقول لك إذن هذه بدعة؟؟؟ قل لأ هذه ليست بدعة، البدعة أن تسلك سبيلاً بخلاف ما كان عليه رسول الله ﷺ لأنك لم تُؤمر بهذا، وارجعوا لأول كلمتنا.

«**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رَدٌّ**»(١).

فالرد من جهتين: إما من جهة عدم تحقيق الأمر الأول (لم يكن خالصًا لله) أو من جهة عدم متابع لرسول الله، فالعبادة ترد إما من كونها شرك أو من كونها بدعة.

فعليك أن تعتني بالتوحيد والسنة ودائمًا علمائنا يؤكدون علىٰ هذا، لأنها مفهوم لا إله إلا الله محمد رسول الله.

لا إله إلا الله: أن تكون خالصة لله.

محمد رسول الله: أن تتبع فيها رسول الله ﷺ.

في الشرطين داخلة: إخلاص، ومتابعة والعمل يرد إما من جهة عدم تحقق الإخلاص أو من جهة عدم تحقق المتابعة.

ولو حققت المتابعة من دون إخلاص = مردود.

ولو حققت الإخلاص ولم تحقق المتابعة = مردود.

فلا بد للأمرين من أن تجتمع.

والمصيبة عندما يكون ليس خالصًا وبدعة فيرد من جهتين.

الدعوة إلىٰ الله إما تكون بلسانه أو تكون بكتابته، أحيانًا بممارستك، أحيانًا الناس تأخذ السنة من أفعالك، أليس هناك أشياء كان يقرهم ﷺ بها؟ وسميت السنة التقريرية، ولذلك عليك أن تمارس السنة حتىٰ الناس تراك لأن الناس

(١) تقدم تخريجه.

ستفعل ما تفعل أنت، بل ربما احتجوا بأفعالك وأقوالك وقالوا لو كان هذا ليس فيه شيء لما فعله الشيخ فلان ومطوع فلان وطالب العلم فلان وإمام مسجدنا ومؤذننا وخطيبنا، هذا سوىٰ كذا، وهذا سوىٰ كذا، لو فيها شيء ما..، هو ما قال لهم شيء، لكن مجرد فعلك أنت، الناس تراه حجة تقتدي به، دع منك خطأ الناس فيما هم قد فعلوا، انظر لما أنت تفعل، عليك ألا تفعل إلا صواب، ولذلك قيل: لو استطعت ألا تحك رأسك إلا بسنة أي (بدليل) فافعل.

معناه أن لا يرىٰ منك الناس أي شيء إلا وفق النصوص والأدلة، أعاننا الله وإياكم علىٰ أنفسنا، أسأل الله أن يعيننا علىٰ أنفسنا.

أيضًا الدعوة إلىٰ الله قد تكون بالكتابة، ونحن ولله الحمد لسنا بحاجة إلىٰ الفرق التي تسمي نفسها دعوة إلىٰ الله دعوة إلىٰ الله، فنحن الحمد لله، الملك وفقه الله اتخذ وزيرًا خاص لهذا الأمر وجعل له وزارة أسماها وزارة الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد، قائمة بشأن الدعوة، بل الدعاة فيها واجب عليهم أن يمارسوه وغيرهم إذا أراد، يستأذن ويفسح له، أما تترك أمور الدعوة هكذا مفلوتة الكل يأتي ويخاطب الناس، هذا ببدعة، وهذا بشركيات، وهذا بخطأ، أو هذا بخوارج، أو هذا بأفكار متشددة! أو هذا بأفكار منحلة، لا، فسح، ومن هو، ومن أين، ودراسته، كل شخص لا بد أن تعرف، الطبيب يستطيع أي شخص يمارس عيادة؟ في شأن الطب؟ ما كل شخص، لا بد يعرف وين تعلم الطب، وين درس الطب، من ذكر، شهادته، هذه في أمور الطب، تأتي أمور الدين، كل شخص يأتي؟ قديمًا كانوا يعتنون (من شيوخه؟ من زكاه من أهل العلم؟ من أجازه في التعليم؟ هذا قديمًا وإلىٰ الآن توجد هذه الأشياء، فما في شيء ماله أي نسب، لأن طلبة العلم شيوخهم في مقام آبائهم، فهم أبناء وتسلسل، والمشايخ هم أبناء من قبلهم، فالنسب العلمي بخلاف

النسب من الولادة، أنت فلان بن فلان بن فلان، معروف نسبك، لكن أيضًا في شرف العلم، عند من تعلم، ما في كلمة أصبح من اليوم من العلماء، من أنت؟ كيف كنت؟ فطالب العلم يعرف منذ نعومة أظفاره، منذ كان صغيرًا، يجالس، وفي الكُتَّاب أو غيرها، ثم تعلم كذا ثم أصبح كذا، فمعروف سيرته العلمية، أما هكذا فجأة وإذا به شيخ، وعالم ومحاضر، من أنت؟ من هذا؟ فلذلك انتبهوا من شيوخ الفجأة، يعرف العلم بسلالة العلم، كما أن الناس لا تبالي باللقيط، أي من لا يُعرف أباه وأمه، ما يبالون به، كذلك الناس لا يبالون باللقيط في العلم، من لا يُعرف له في العلم نسب، ولا يعتنون بالتلقي عنه، لأنه لقيط في العلم، انتبهوا من هذه الأشياء.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِيهِ[٩]

---

[٩] لا شك، تعلمت، وعملت، ودعوت، ستبتلىٰ، فإذا ابتليت، لا تتململ، ولا تضجر، علىٰ المنهج الشرعي اصبر: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

الصبر منهج نبوة، هذه الدعوة إلىٰ الله من شروطها كما أخبر الله ﷻ فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وأمر بالمعروف: وأعظم المعروف التوحيد وتليه الأعمال الصالحة.

وانه عن المنكر: أعظم المنكر الشرك وتليه الكبائر والذنوب.

واصبر علىٰ ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور: لأنك إذا أمرت بما يكره الناس ونهيت عما يحب الناس، الناس بتملَّك، تضجر منك، بترد، تخالف شهواتهم، تخالف شبهاتهم، تخالف أهوائهم، تخالف رغباتهم، لا يريدون هذا، فيحصل منهم همز ولمز وغمز، وطرد، وكلام، تحصل مشاكل، ربما يصل إلىٰ الاعتداء، سواء القولي أو البدني أو غير ذلك، لأنهم سيقعون فيه وفي عرضه، ويُتناول، وربما تحاك عليه التهم ويتهم في عظائم، لماذا؟ لأنه أتىٰ بما يخالفهم، وطبيعة الإنسان البشرية معروفة بجانب العدوان وجانب الاعتداء والبهتان، فاصبر، أنبياء ورسل يأمرهم الله بالصبر، فيقول لنبيه فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل.

الصبر ليس هين، ولذلك شرط في الداعية أن يصبر، إذا ترىٰ نفسك ما تصبر،

عليك أن تسأل الله أن يعينك علىٰ نفسك، فلا تضر نفسك ولا تضر الدعوة، لأنك إذا لم تصبر سوف تنتصر لنفسك، فتصبح دعوتك منتقلة من الدعوة إلىٰ الله إلىٰ أنك أصبحت تدعو لنفسك، لأن الذي يدعو إلىٰ الله لا يبالي وعليه أن يصبر، ويستوي عنده مادحه وقادحه في الحق وهذا دليل الإخلاص، أما مادحه وقادحه، هذا محبب وهذا مبغض، لا، إذا كانوا في الحق فيكونوا سواء، لأن الذي قدح فيك بالحق عليك أن تقبل منه، والذي مدح بالحق مدح بالحق، ولا شك أن النفوس جبلت علىٰ حب الثناء، ولكن أيضًا انتبه أن تقدم هذا وتؤخر هذا، إنما يقدم الحق، اصبر علىٰ ما أصابك، ربما يوفق طالب العلم في مكان له استجابة والناس تسمع منه، وأقاربه يحبونه وخذوا منه ويسمعونه، مؤثر، مفيد، ربما يهيئ الله له من الأمر ما يجل سامعته مستفيدة منه، لا بقوة بيان ولا بحجة، إنما توفيق من الله ﷻ وابتلاء، كثرة السامعة ترىٰ ابتلاء، كثرة المستفيدين ترىٰ ابتلاء، حتىٰ لا تغتر بنفسك انتبه وليست دليل علىٰ صدق ما عندك أو بطلان ما عندك أن يكون الناس حولك كثير ويستفيدون منك، لا، يقول النبي ﷺ كما في حديث العرض، عرض الأمم، قال: «**فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد**»(١) هذا يوم القيامة لن يستجب له أحد، والله لا من ضعف في بيان ولا

---

(١) «عُرِضَت عليَّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رُفِعَ لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسىٰ وقومه، ولكن انظر إلىٰ الأفق، فنظرت فإننا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلىٰ الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب».
ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ قال بعضهم: فلعلهم الذين
=

إخلاص، بل هم قمة القدوة، رسل الله وأنبياء الله، ومع ذلك يأتي يوم القيامة ولم يستجب له أحد، فعدم الاستجابة امتحان وابتلاء، وكثرة الاستجابة امتحان وابتلاء، وينفتن الإنسان، فلذلك عليك أن ترىٰ ما عند الله، والناس لا تلتفت لها.

لا تلتفت للناس، اصبر علىٰ ما أصابك، إذن سيصيبك، سيصيبك أذىٰ نفسي أو مالي، أو اجتماعي، أو سمعة، أو ما إلىٰ ذلك، قد يصيبك، عليك أن تصبر ولا تنثني عن الدعوة.

لأن كل هذه المنغصات لا حتىٰ أنت تحجم، أو تنثني أو تتأخر، أو تبتعد، أو ما إلىٰ ذلك، فيمكن منك من أراد بك أن تنصرف عن الدعوة، فتصيبك ردة الفعل أنك تركت هذا الأمر، هذا الذي يريده الخصوم، أنك تترك الحق، لا تمكنهم من نصفك، وإذا انتقد عليك شيء أنت وقعت فيه لا تكابر، استغفر وقيم نفسك، إذا انتقد فيك شيء معين لا تكابر تقول لا، قل أستغفر الله وأتوب إليه، تستمر أمورك، استعن بالله فإذا استعنت بالله أعانك الله.

وإذا لم يكن من الله عون للفتىٰ	**فأول ما يجنيه عليه اجتهاده**

=

ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه، فقال: هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون فقام عكاشة ابن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عُكَّاشَة» [أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب (٥/ ٢٣٩٦)، رقم: (٦١٧٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١/ ١٩٩)، رقم: (٢٢٠)، واللفظ له].

فانتبه من نفسك علىٰ نفسك، كلمة قديمة للشيخ مقبل الوادعي الله يرحمه شيخنا: يقول إن أكثر ما نخاف علىٰ دعوتنا من أبنائها، كلمة قالها وهو ممارس ودارس وتعلم وعلم وصبر الناس في مجالس العلماء حتىٰ أصبح عالمًا يجلس إليه ورحلة يُرحل إليه، فنصح بهذه النصيحة ونحن ننصح أنفسنا بها أيضًا، أشد ما نخاف علىٰ الدعوة منا من أنفسنا، من أفرادها حتىٰ لا تصبح يأكل بعضها بعض، إنما يكون فيها الرحمة فيها الألفة يكون فيها الصبر يكون فيها التصحيح، ولا يكون فيها الفرح بالزلة والشماتة بالخطأ، انتبه أن تكون شمَّاتًا فرح أن يزل غيرك، أعوذ بالله لا والله، أليس الدين النصيحة، ومن النصيحة أن توضح له وتبين له، فخطأ السني ليس كخطأ البدعي، حتىٰ وإن رد السني علىٰ السني فهذا في دائرة النصح ودائرة النصح تختلف عن دائرة الفضائح، أو دائرة تتبع الزلات، أو العثرات، لا، أهل السنة قد يختلفوا لكن لا يفترقون.

فرق بين الاختلاف والافتراق، الافتراق من سمات أهل البدع، أما الاختلاف طبع بشري، يختلف الناس، أما في مسائل الاعتقاد لأ لا يختلفون.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُه تَعَالَىٰ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ - ٣][١٠].

---

[١٠] هذه فيها بيان العلم والعمل والدعوة والصبر، فلا معرفة للإيمان إلا بعلم، والمؤمن يعمل ويتواصىٰ مع إخوانه والتواصي أي بالدعوة، والصبر هو عقد يجمع هذه الأشياء.

فهذه الآية اشتملت علىٰ هذه الأمور، ففيها جميع مناحي الأمور الدينية.

قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ، لَكَفَتْهُمْ».[١١]

---

[١١] ذكر هذا ابن كثير في تفسيره عندما ذكر ذلك أشار إلىٰ هذا والشيخ اقتبسها منه، أنه لو ما كان إلا حجة فهي حجة، لأن الحجة في أن يتعلم ويعمل ويدعو ويصبر لو ما كانت إلا هذه كفت، لأن هذا هو الواجب علىٰ المكلفين.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: «بَابٌ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ» قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.[١٢]

---

[١٢] قيل إن البخاري فقهه لتبويبه، يعني إذا أراد شيء بوّب ثم أتىٰ بالأدلة فجعل الأدلة أي فقهها ما ذكرته في عنوان الباب، واستفاد منه في هذه الطريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لذلك الشيخ لما ألف كتاب التوحيد وانتشر، قيل أنه سعد بن حمد ابن عتيق وقيل عبد الله القرعاوي، أن أحد علماء الهند، كان يتكلم علىٰ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فنزع غلاف الكتاب فعطاه كتاب التوحيد، قال يا شيخ هذا كتاب وقع في يدي كيف لي به، هل يصلح؟ فقرأه، فلما قابله من بعد ذلك قال هذا كتاب جميل، لقد جارىٰ فيه البخاري في تبويبه، قال هذا من تسبه في كل درس، قال هذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب، قال لا يمكن هذا!! فجعل منزوع فإذا به مطابق النزع أي مكان ما نزع الغلاف وإذا به مطابق له، فأحيانًا يسمع الناس بعض السمعة التي تشوه شخصية علمية معينة أو كذا فالواجب علىٰ الإنسان أن لا يأخذ بالكلام مجرد سماعه، إنما يتحقق في هذه الأشياء، الشاهد التبويب: قال باب العلم قبل القول والعمل، إذن قبل أن تقول وقبل أن تعمل تعلم، حتىٰ يكون قولك وعملك مبني علىٰ علم، وليس كلام مطلق علىٰ عواهن، فلذلك قال فاعلم أنه لا إله إلا الله، احتج بالآية واستغفر لذنبك، قال فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، فاعلم أنه لا إله إلا الله، تعلم لا إله إلا الله، تعلمها، تعلم العقيدة، وسيأتي معنا لا إله إلا الله في شروط لا إله إلا الله، وسنتوسع في ذلك إذا أتانا، لكن هنا تأصيل، دائمًا في كل علم لا بد أن يكون لك فيه تأصيل قبل التفصيل، دائمًا تأصيل

قبل التفصيل، تأصل في العلم وفي تلقيه ثم تتبعه مسألة التفصيل، فأنت تتأصل في العلم وفي تلقيه، فاعلم أنه لا إله إلا الله، علمت؟ واستغفر لذنبك، هنا عمل، الاستغفار عمل، لأنه عمل صالح أن يستغفر الإنسان.

ثلاث مسائل يجب على المسلم تعلمها والعمل بها

* اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- [١]

---

[١] قوله في رسالته مرة أخرىٰ مكرر (اعلم رحمك الله) يؤكد هذا المبدأ، مبدأ الرحمة، هذا الشيخ رحمة الله عليه رحيم بالمدعو، ويكررها دائمًا (اعلم رحمك الله)، وهو أسلوب تعليمي وتربوي، ظاهرةٌ فيه الرحمة والشفقة وإرادة الخير للغير من خلال الدعاء للقارئ وهو أمر مستمر لكل من قرأ أو سمع.

أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَالعَمَلُ بِهِنَّ: [٢]

---

[٢] قال التعلم والعمل، أن نتعلمها ونعمل بها، انتبهوا، فهذا من جانب الوجوب كما تقرر في بداية الرسالة لما تكلمنا عن حكم وجوب تعلم العلم الضروري، فهذا داخل في هذا الوجوب أي معنىٰ ذلك أن تارك تعلم هذه الثلاث يأثم، لماذا يأثم؟ لأن هذه الثلاث أصول في الاعتقاد، أمور متعلقة بأصول الاعتقاد.

المسألة الأولى

الْأُولَىٰ: **أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا**، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا؛ بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٥، ١٦]. [٣]

---

[٣] هذه الأولىٰ، أن الله تبارك وتعالى خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً، الخالق الرازق هو المستحق للعبادة، فخلقنا وأوجدنا ورزقنا لغاية أرادها منها، خلقنا ورزقنا وأوجدنا وكلفنا وأمرنا ونهانا وأرسل لنا رسل يخبرون بما يريد منا، وهذه رسالة واضحة.

هذا الرسول من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، وأعظم الطاعات التوحيد، وأعظم المعاصي الشرك، فمن وقع في ذلك الشرك دخل النار، كما في الحديث المشهور: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ**» قالوا: يا رسول الله، ومن يأبىٰ؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ**»(١).

المشرك أوقع نفسه في الوعيد الشديد، لماذا؟ لأنه أعظم ذنب، وهذا الذنب لا يغفر الله لأهله إن ماتوا من غير توبة، وأما سائر الذنوب غير الشرك إذا مات عليها العبد دون توبة فهو تحت المشيئة، إن شاء غفر الله له وإن شاء عذبه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧٢٨٠).

الله ﷻ أخبر عن نفسه أن رحمته وسعت كل شيء، الذي أخبر أن رحمته وسعت كل شيء هو الذي قال الحق ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

الذي أخبر أن رحمته وسعت كل شيء هو الذي قال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة: ٧٢] وهذا يدل علىٰ خطورة الشرك، ونعلم أن جميع الأنبياء والرسل حذروا من ذلك بل دعوتهم قامت علىٰ ذلك ما الدليل علىٰ هذا؟

قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] فعلىٰ هذا قامت دعوة الأنبياء والرسل، خالقنا ورازقنا لم يتركنا هملاً بل قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

يقول ابن عباس كما ذكر ذلك ابن جرير الطبري وابن كثير في تفسيره يعبدون: أي يوحدون، التوحيد.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[المزمل: ١٥ – ١٦]

إذن كل من عصىٰ الرسل أخذه الله أخذًا وبيلاً.

المسألة الثانية

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ؛ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن:١٨].[٤]

---

[٤] هنا فيه بيان أن خير أهل السماء وخير أهل الأرض لا يُعدل بهم مع الله، فمن باب أولىٰ دونهم كذلك، فإذا كان لا ملك مقرب، جبريل وهو خير أهل السماء ولا نبي مرسل وهو محمد ﷺ وهو خير أهل الأرض لا يجوز أن يُصرف لهم شيء محض حق الله، فغيرهم ممن هو دونهم من باب أولىٰ. لماذا؟ لأن كل شيء لله، يُصرف لله، دور العبادة هذه المساجد سُميت بالمسجد لأشرف ما يُفعل فيها وهي الصلاة وأفضل ما يكون العبد وأقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد، فسميت المساجد بأشرف ممارسة أثناء الصلاة وهي السجود، أي أماكن سجود العباد لربهم: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وهنا فيه تنبيه للإخلاص، فالسجود عبادة لله، الركوع عبادة لله، الذبح عبادة لله، الدعوة إلىٰ الله، كل ممارساتك لله ﷻ، كذلك الدعاء والتوسل والاستغاثة هو كالسجود عبادة، بل وصف سبحانه الدعاء بأنه عبادة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فسمي الدعاء عبادة، فهذا رد علىٰ من يقولون أن الدعاء توسل ليس عبادة إنما هو دعاء، هكذا قالوا تلبيسًا لمن معهم.

إذن المسألة الثانية تبين المسألة الأولىٰ، أن الله أرسل الرسل ليخبرونا أن الله لا يرضىٰ أن يُشرك معه غيره وأن يُعبد، فالثانية مبنية علىٰ الأولىٰ.

هل أحد يُعذر بعلم هذا؟ فيقول أنا لا أدري أن الله لا يرضىٰ بالشرك، أو يقول أنا ما أعلم أن الله خلقنا ورزقنا من أجل عبادته أو أن رسلاً أرسلهم كيف نمارس العبادات إلا من خلال الرسول ﷺ الذي بعثه الله بالوحي فيخبرنا ماذا أراد الله منا لأن العقول بذاتها لا تعرف ماذا يريد الله منها استقلالاً فلا بد أن يأتي النقل فيرشد العقل، فعرفنا العبادات من خلال نصوص، لن نعرفها بمجرد عقولنا، ولذلك غلط أن يقول بعض الناس الله ما شفناه لكن بالعقل عرفناه! لو كان بالعقل يُعرف لكان هناك كثير ممن عبدوا غير الله من العقلاء والمخترعين وصحت هذه العبارة، لكن هذه العبارة عليها ملاحظة، عرفناه بآياته، بمخلوقاته.

المسألة الثالثة

الثَّالِثَةُ: أنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ، لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]. [٥]

---

[٥] الأولىٰ علم، والثانية اعتقاد والثالثة ممارسة.

الأولىٰ: يعلم أن الله أرسل له رسل.

والثانية: أن الله يرضىٰ (اعتقاد).

والثالثة: ممارسة (البراءة): ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] حتىٰ هنا غائية، أي إلىٰ غاية أن يؤمنوا بالله وحده لا شريك له فلا بد أن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله، لا بد البراءة من الشرك وهي (لا إله إلا الله)، هذا معناها، هذا معنىٰ هذه البراءة من المشركين، فهذا هو إسلامنا هذا هو ديننا، الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

فلا يكفي أن يبرأ من الشرك ولا يمارسه، لا بد أن يبرأ من الشرك والمشركين.

* **اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ-**: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ -مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ-: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومَعْنَى «**يَعْبُدُونِ**»: يُوَحِّدُونِ. [٦]

---

[٦] هنا تأكيد أيضًا، ما هي الحنيفية؟

الحنيف: المائل عن طريقة الزائغين إلىٰ طريقة الحق المبين.

والحنيفية ملة إبراهيم لأنه ترك ملة قومه وهم يشركون، ومعروف حواراته مع أقرب الناس إليه، يا أبتي.. يا أبتي.. يا أبتي..

هذه هي العبادة، العبادة قائمة علىٰ هذا الأمر علىٰ توحيد الله ﷻ، ديننا قائم علىٰ هذا الأمر.

العبادة من الذل، ولذلك يُقال طريق مُعَبَّد: أي ذُلِّلَ للسالكين عليه فأصبح مذللاً لهم وهذا معنىٰ من معاني اللغة من الذل والخضوع وهو معنىٰ شرعي، فالعبادة تعريفها اللغوي لها علاقة بتعريفها الشرعي.

ما هو تعرف العبادة شرعًا؟

تعريفات كثيرة، أشمل وأجمل تعريف عرفها به أحمد بن عبد الحليم الحراني (ابن تيمية) قال: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

في ظل هذا التعريف سنتكلم عن العبادة بشيء من التقسيم يساعد طالب العلم في فهم أشياء كثيرة، وسوف أقسمه لكم بطريقة تسهل عليكم في الحفظ،

بحيث أني أذكر ١ جوابه واحد، ٢ جوابه اثنان، ٣ جوابه ثلاثة، ٤ جوابه أربعة، ٥ جوابه خمسة، ٦ جوابه ستة، ٧ جوابه سبعة، هكذا سأذكرها لكم الآن حتىٰ تعرفوا هذا الأمر، وهو يساعدكم، وهذا من التأصيل والتفصيل:

١ – الأصل في العبادة:

جوابه واحد وهو المنع إلا بدليل.

ما الدليل؟

﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾[هود: ١١٢] إذا أتاك أمر نفذه (في العبادات).

المباحات الأصل فيها الحل، العبادات الأصل فيها التوقف والمنع إلا بدليل.

٢ – شروط صحة العبادة:

جوابه اثنين:

١–الإخلاص: أن يكون قصده وجه الله.

ما الدليل؟

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾[الزمر: ٣]

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[البينة: ٥]

٢ – المتابعة: متابعًا لرسول الله:

ما الدليل؟

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر: ٧]

«من أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رَدٌّ»(١).

الآيات والأحاديث كثيرة، لكني أقتبس فقط، أنا فقط أشير إشارات، من أراد أن يتوسع له ذلك لكن لأنه برنامج علمي مضغوط ومختصر وأنتم تريدون يُختم الكتاب خلال يومين، وهذا كتاب درسناه عند الشيخ بن باز في ستة أشهر، كان جلسات فجر الخميس، رحمة الله عليه.

٣- أركان العبادة:

جوابه ثلاثة:

الركن الأول: الخوف.

الركن الثاني: المحبة.

الركن الثالث: الرجاء.

وبهذا تكون اكتملت العبادة بأركانها الثلاث، خوف ومحبة، ورجاء.

وأدلتها في القرآن والسنة كثيرة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾[البقرة: ١٦٥]

﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١]

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠].

---

(١) تقدم تخريجه.

الرغبة والرهبة والمحبة، هذه الأركان زلت فيها ثلاث فرق من أصول أهل البدع:

الخوارج (الحرورية الوعيدية): عبدوا الله بالخوف.

ولذلك قالوا لا تنفع طاعة مع المعصية من عصىٰ الله لا تنفعه الطاعة كفر.

المرجئة: عبدوا الله بالرجاء قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب!

غلاة الصوفية: قالوا نعبد الله بالحب لا نرغب بجنة ولا نخشىٰ نار، حب، ووقعوا في ألفاظ قبيحة، عشق الله! العشق لا يكون إلا من الرجل للمرأة والمرأة للرجل وغايته النكاح وأما في حق جلال الله ﷻ فلا يقال إنما يقال الحب في الله ولا يقال العشق في الله.

فقالوا نعبد الله في الحب والصحيح أن العبادة بالأركان الثلاث: خوف ورجاء ومحبة.

٤- أنواع العبادة:

وجواب ٤ أربعة:

١- عبادة قولية (الذكر، التسبيح، التحميد، التهليل).

٢- عبادة فعلية (الركوع، السجود، الطواف).

٣- عبادة قلبية (الخوف، الرجاء، المحبة، الرغبة، الرهبة).

٤- عبادة مالية (الزكاة، الصدقة، النفقة).

نربط، كل عبادة لا بد لها من دليل، وأن تُخلص فيها، وتتبع فيها، بخوف

ورجاء ومحبة، سواء كانت قولية أو عملية أو فعلية أو مالية.

هل هناك عبادة تجتمع فيها هذه الأمور بحيث تكون قولية وفعلية وقلبية ومالية؟

الحج (التلبية قولية، القصد (النية) قلبية، الطواف فعلية، النفقة مالية).

٥- أحكام العبادة:

وجواب ٥ خمسة (وتقال فيها الأحكام التكليفية الخمسة):

١- محرم (الصوم في العيد).

٢- واجب (الصوم في رمضان).

٣- مكروه (صيام الأيام المنهي عنها).

٤- مستحب (صيام الأيام المأمور بها).

٥- مباح (لم يأتي فيه ما يمنعه ولم يأتي فيه ما ينهاه).

٦- أزمنة العبادة:

وجواب ٦ ستة:

١- عبادة آنية: الآن ومعك في كل آن وهي عقيدتك وتوكلك علىٰ الرحمن.

٢- عبادة يومية (الصلوات).

٣- عبادة أسبوعية (صلاة الجمعة).

٤- عبادة شهرية (صيام الأيام البيض).

٥- عبادة سنوية (صلاة العيد).

٦- عبادة عمرية (الحج والعمرة، العقيقة، الختان).

فلا يأتيك جاهل تبليغي ويقول لك عبادة سنوية، أين الدليل؟ جيب الدليل، أربعين يوم في السنة تخرج من أين لك الدليل؟؟

عبادة شهرية ثلاث أيام في الشهر! من أين لك الدليل؟ جيب الدليل، العبادات الأصل فيها التوقف إلا بدليل.

لا قياس في العبادات:

العبادات ليس فيها قياس، يعني ما تجيب أحكام الطهارة بأحكام الصيام ولا أحكام الصيام وتجيب أحكام الدعوة وتقول ثلاث أيام أخرج في سبيل الله فمن خرج يا أحبابنا ثلاث أيام من كل شهر فكأنما خرج الدهر!!

لا، النبي يقول من صام ثلاثة أيام من كل شهر فكأنما صام الدهر. نقول هذا في الصيام وليس في الدعوة. لا تعبث في دين الله!!!!

لا تلعب في دين الله.

هذا التفصيل لا يحبه أهل البدع، هذا التفصيل يقطع الطريق علىٰ من يأخذونهم معهم باسم العاطفة الدينية، فلما يأتي بمثل هذا التفصيل ويقول ما دليل هذه قولية عملية زمنية مكانية؟ يقول لالالا أنا ما عندي هذا الكلام ما أعرف، فيبدأ يهرب، لماذا؟ لأن لا يحبون التفصيل في العلم.

٧- أحكام الصلاة:

١- فرض عين: الصلوات الخمس.

٢- **فرض كفاية**: صلاة الجنازة.

٣- **واجبة**: مثل الجمعة.

٤- **سنة مؤكدة**: (سنة الفجر والوتر).

٥- **سنة راتبة**: (١٢ ركعة).

٦- **سنة أحيانًا**: (سنة العصر، والظهر أربع قبل وأربع بعد).

٧- **نافلة**: (من صلىٰ ركعتين في غير وقت الكراهة) وهي المطلقة.

٨- أحوال العبادة:

١- مكانية:

مثال: عبادة قولية مكانية (دعاء دخول المسجد) لو دخل السوق وقال دعاء دخول المسجد يصير؟ لا.

إذن هذه عبادة قولية مكانية.

هنا الآن بدأنا نمزج ما بين التقاسيم علىٰ أساس تنضبط معكم، ترا هذه كلام قد لا تجدونه مدون في كتاب، لكن من خلال ما قرأت وسبرت وجمعتها ولعلها تخرج في كتاب (الإفادة في أحكام العبادة) فيها أشياء كثيرة إذا فهمها طالب العلم والله ما يعبث فيه مبتدع ولا لعَّاب، لو يجي يبي يمشي له أي عبادة يقول له توقف! هذه من أي نوع؟ تنضبط عنده المسائل.

عبادة عملية مكانية مثل إيش؟

تحية المسجد، ما يأتي أي مكان يصلي فيه ركعتين، فقط في المساجد ولذلك

الذين خصصوا أماكن معينة بركعات معينة يقال لهم من أين لك هذا؟

ما دليلك؟ فما يستطيع يقيس يقول المساجد يفعل بها كذا والأماكن يفعل بها كذا، لأ وقف! العبادات لا قياس فيها، كل عبادة الأصل فيها التوقف والمنع إلا بدليل، هذا تقسيم مهم جدًّا.

٢- **زمانية**: صلاة الليل وصلاة الضحىٰ.

٣- **حال**: حال نزول المطر، هذا الحال له عبادات: حسر الرأس، الدعاء.

فهذا الحال الذي نزل علىٰ الناس، أو سفر، دعاء السفر وهو حال ما يريد السفر.

٤- **هيئة**: إذا ركب الدابة وش هيئته؟ راكب، عند ركوبه للدابة.

إذا أتىٰ أهله دعاء...، إذا لبس..

الأشياء التي يمارسها كهيئة لها أدعية لها أقوال لها أعمال في هيئته كذا في حال كذا.

٥- **مطلق**: مثل الذكر.

٦- **مقيد**: بالعدد بالوصف أحيانًا يكون مطلق بالعدد مقيد بالزمان، وقد يكون أحيانًا مطلق الزمان مطلق العدد، وقد يكون مقيد الزمان مقيد العدد.

إذن المقيد والمطلق في العبادات موجود، مطلق في الأعمال، مطلق في الفعل مثل صلاة الليل والضحىٰ مطلقة العدد، فعندك مطلق وعندك مقيد.

٧- **ليلية**: عبادات الليل غير عبادات النهار وجهرية وسرية، في أشياء نجهر

بها وفي أشياء نسر بها، ولا يشترط لها ليلي ولا نهاري علمًا بأن غالب عبادات الليل جهرية وغالب عبادات النهار سرية، لكن بعض العبادات النهارية جهرية مثلا صلاة الجمعة وصلاة العيد.

٨- **نهارية**.

٩- **فردية**: مثل صلاة الاستخارة انفرادية.

١٠- **جماعية**: مثل صلاة الجمعة لا تصح إلا جماعية، ما في أصلي جمعة لوحدي! إما مع جماعة وإلا صليها ظهر، مع أن في صلوات جماعية انفرادية إن ما صليتها جماعة صلها منفرد نفس الوقت ونفس الهيئة لكن بعضها لا، أما تصليها جماعة وإلا ما تصح منك، صلاة الجمعة يصير الواحد يصلي لوحده صلاة جمعة؟! يخطب علىٰ نفسه ويحدث نفسه ويقوم يصلي ركعتين؟! ما يصير هذا.

هذه الممارسات، ونعلم أن إذن هذا التقسيم يضبط لكم يا طلبة العلم حياتنا كلها عبادة لله ﷻ ويتأمل الإنسان قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢].

ويتضح له قول الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ويقول صحابي: «**إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي**»(١).

هنا يحقق العبد مفهوم العبودية من خلال تعريف شيخ الإسلام الذي ذكره.

هي كلمة جامعة لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة

---

(١) رواه الإمام البخاري ٤٣٤٤.

والباطنة. هنا يتضح معنىٰ هذا المفهوم.

وهذه كلها للتوحيد، ارجع واربط ما بين ١ إلىٰ آخر ما وصلنا إليه تجد كلها مرتبطة ارتباطًا وثائقيًّا لا يمكن أن تعمل شيء إلا بأصل بدليل، وإذا أردت أن تفعل لا بد أن يكون فيه شرطين حاضرين (إخلاص ومتابعة)، وعند ممارسة الإخلاص والمتابعة لا بد أن تستحضر الأركان (الخوف والمحبة والرجاء). ما يمكن أن تمارس شيء إلا ولك فيه أصل، هنا اجتمعت عندك هذه الأمور كلها فأصبحت حياتك كلها عبودية لله عَزَّ وَجَلَّ في كل ما تأتيه وأنت مبارك حيث ما كنت، جعلنا الله وإياكم كذلك.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ؛ وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ: الشِّرْكُ؛ وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]. [٧]

---

[٧] إذن أعظم شيء التوحيد، وأخطر شيء الشرك، فأعظم ما أمر الله به هو توحيده وإفراده بالعبادة، وأعظم ما نهىٰ الله عنه هو الشرك، فأي دعوة لا تجعل التوحيد هو أولوية عندها من حيث الدعوة إليه ولا تجعل التحذير من الشرك أولوية عندها فهي دعوة علىٰ غير منهاج النبوة، أي دعوة لا تجعل الدعوة إلىٰ التوحيد والتحذير من الشرك أول مهامها فهي دعوة بخلاف منهاج النبوة.

ولو رأينا أضخم دعوتين الآن منتشرة في العالم دعوة الإخوان المسلمين ودعوة جماعة التبليغ، فلو رأينا إلىٰ مؤسسيها لوجدنا أن حسن البنا حصافي ويعكف عند قبر سنجر، ومحمد إلياس زشتي سهروردي قادري نقشبندي يعكف عند قبر رشيد الكنهوكي لعلمنا أن دعوتين رؤوسها ومؤسسيها مارسوا الشرك ودعوا إليه فأي خيرٍ فيمن يليهم؟ فهي دعوتين علىٰ غير منهاج النبوة، فإذا سقط الأصل سقط الفرع، ولكن يا لله العجب لمن تشرب الهوىٰ فأصبح ينافح عنها ليلاً ونهارًا، مسكين ينافح عن الشرك والبدعة، ليته نافح عن التوحيد والسنة لكان خير له ولكن الله المستعان.

الأصول الثلاثة التي يجب معرفتها

الأصل الأول: معرفة الله ﷻ

* فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟
فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ. [١]

---

[١] وصل الآن إلىٰ صلب أصل العنوان، ثلاثة الأصول، قال الأصول الثلاثة التي يجب علىٰ الإنسان معرفتها، هنا وجوب عيني، عقيدتك أنت، فأنت لا تعتقد بعقيدة غيرك لأنك تُسأل عن عقيدتك أنت، فالعقيدة ما فيها توكيل، مثل الصلاة، في بعض العبادات يجوز فيها التوكيل، اذبح عني، تصدق عني، حج عني، صام فلان عن فلان، لكن الصلاة ما في أحد يصلي عن أحد، أنت حي صل، ما أقدر واقف! صل قاعد، ما أقدر قاعد! صل مضطجع، ما أقدر مضطجع! حتىٰ لو إيماءًا صل، ما أقدر اتوضأ تيمم، ما أقدر أتحمل فيني ما يعيقني لا من هذه ولا من هذه! الله يكلف الإنسان بما يستطيع فإذا لم تستطيع لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، لكن الصلاة ما تسقط كما أن العقيدة ما تسقط.

وليس في العقيدة توكيل ما في أحد يعتقد عن أحد، أعتقد عني وأنا أعتقد عنك، لا! العقيدة كل يحاسب بما في قلبه، ولذلك الذي لم يعتقد بقلبه يقول: «لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من

حديد...»(١).

لاحظتم خطورة التقليد في العقيدة! لا اعتقاد إلا بدليل ولا دليل إلا بالوحي، هي أمور غيبية لا معرفة لنا بها إلا بالوحي، فإذا أتىٰ في كتاب الله أو صح عن رسول الله أو أتىٰ عن السلف الصالح علىٰ رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي هذا هو العلم.

قوله معرفة العبد ربه:

المعرفة يسبقها إيش؟ جهل ولذلك بحق الله يُقال العلم، العالم، أما المعرفة يسبقها إيش؟ جهل، فيتعلم الإنسان ما يجهل، ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾[النحل: ٧٨].

ما فيها شيء إذا قلت أنا أجهل، إن من المعيب أن تدعي العلم وأنت لا تعلم!

أما أنك تقول لا أعلم علمني هذا من كمال الإنسان أنه يجهل ويتعلم وفوق كل ذي علم عليم ولا يزال الإنسان يتعلم بل أمرنا الله بالتعلم والسؤال: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[النحل: ٤٣].

---

(١) عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «العبد إذا وضع في قبره وتولىٰ وذهب أصحابه حتىٰ إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال: انظر إلىٰ مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيراهما جميعًا وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقول لا دريت ولا تليت ثم يُضْرَب بمطرقة من حديد ضربةً بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين». رواه البخاري (١٢٧٣).

فيتعلم الإنسان حتىٰ تصح عقيدته وتصح عبادته وتصح معاملته وتصح دعوته وأخلاقه وسلوكه. فكل هذه مما بعث الله بها نبيه محمد ﷺ في تحقيقها ونحن مأمورون أن نكون كذلك حتىٰ في الاعتقاد اتباع فإن آمنوا بمثل...

أمر العقيدة ليس أمر شخصي أو اختيار ذاتي، بل هو واجب شرعي أن تعتقد عقيدة السلف، واجب، واجب شرعي أن تكون عقيدتك عقيدة السلف الصالح، ليس اختيار شخصي، أمر الاعتقاد ليس راجع لاختياراتنا أو الإنسان علىٰ كيفه لا ما هو علىٰ كيفك، العبد في أمر مولاه لماذا؟ لأنه أمر أن يكون كذلك: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾[البقرة: ١٣٧].

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠].

هذا في العقيدة، في الصلاة: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(١).

في الحج: «**لتأخذوا مناسككم**»(٢).

في الوضوء: «**من توضأ نحو وضوئي هذا..**» »(٣).

في كل شيء..

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١)، ومسلم (٦٧٤) أتينا إلىٰ النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يومًا وليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رفيقًا، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا – أو قد اشتقنا – سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه، قال: «ارجعوا إلىٰ أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم – وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها – وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤمن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم».

(٢) رواه مسلم (١٢٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٣٤)، ومسلم (٢٢٦).

﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران: ٣١].

محبة الله يستحقها من يتبع رسول الله وبقدر ما يكون عنده نقص في المتابعة بقدر ما يكون هناك النقص من محبة الله له.

وإذا أحب الله العبد أكرمه ولا تسأل في أي واد خير يسوقه إليه ويدخله عليه ويتولاه ويرعاه حتىٰ يلقاه يوم اللقاء فيجعله في الفردوس الأعلىٰ مع محمد وصحبه ﷺ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّىٰ جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]. [٢]

---

[٢] الحمد لله (ال) هنا استقرائية أي كل المحامد هو أهلها فهو أهل الثناء سبحانه ﷻ فله الحمد كله.

لماذا؟ لأنه رب العالمين هو الذي رباهم وتولاهم وهداهم ودلهم فهو رب العالمين ليس لنا معبود سواه، المعبودات كثيرة ولكن المعبود بحق هو الله وحده لا شريك له، فهو رب العالمين حتىٰ الذين صنعوا الأصنام هو ربهم، هو خالقهم، هو رازقهم، هنا سيتكلم في هذا المفهوم أي في التوحيد، **والتوحيد أنواعه ثلاثة**:

١- توحيد الربوبية: وهو إفراد الله بأفعاله.

٢- توحيد الألوهية أو الإلهية أو العبادة: وهو إفراد الله بأفعال المكلفين.

ما الفرق بين إفراد الله بأفعاله وإفراد الله بأفعال المكلفين؟

إفراد الله بأفعاله أي: خالق لا خالق معه، رازق لا رازق معه، محيي ومميت لا محيي ولا مميت معه، هو المنفرد بصفات الكمال والجمال والجلال وحده لا شريك له، لا أحد بيده الخلق ولا الرزق ولا الإحياء ولا الإماتة، الملك له وحده لا شريك له، هذا إفراد الله بأفعاله (توحيد الربوبية).

إفراد الله بأفعال المكلفين: هذا توحيد الألوهية، أقوالنا عقيدتنا، أموالنا، سجودنا، ركوعنا، حلفنا، نذرنا، كل ما نمارس من أنواع العبادات وما ذكرناه قبل

قليل بكل العبادات أن تكون له وحده لا شريك له، فلا نصرف شيئًا هو محض حق لغيره، فلا نذبح لغير الله: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»(١).

«**من حلف بغير الله فقد أشرك**»(٢).

وهكذا، إذن هذا إفراد الله بأفعال المكلفين هو توحيد الألوهية.

٣- نأتي النوع الثالث، وهو: **توحيد الأسماء والصفات:**

توحيد الأسماء والصفات هو أن نفرده سبحانه ﷻ بأسمائه وصفاته التي سمىٰ بها نفسه ووصف بها نفسه، سماه نبيه ﷺ أو وصفه نبيه ﷺ، منطلقين في ذلك من قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. إذا أتىٰ في ذهنك ليس كمثله شيء وهو النفي.

يأتي الإثبات وهو السميع البصير، لا إله (نفي) إلا الله (إثبات) إثبات العبودية له وحده لا شريك له.

إذن هذا توحيد الأسماء والصفات أنك تنفي عنه المشابهة والمماثلة والند والنظير، ليس كمثله شيء، صفاء ذهنك ليس في خيالك شيء، مخلوقات خلقها الله قال النبي ﷺ كما في الحديث القدسي: «**أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين**

---

(١) رواه مسلم ١٩٧٨.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «لعن الله من لعن والده. ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من أوىٰ مُحدثًا، ولعن الله من غَيَّرَ منار الأرض»

(٢) رواه الترمذي (١/ ٢٩٠) وصححه الألباني (٦٢٠٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ «من حلف بغير الله فقد أشرك».

رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر..»(١) هذا في مخلوقات خلقها الله لا يمكن أن يكون مثلها شيء.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤).

وَكُلُّ مَا سِوَىٰ اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِن ذَلِكَ الْعَالَمِ [٣].

---

[٣] أي: كل ما سوىٰ الله عالَم وأنا واحد من ذلك العالَم.

فالله خالق هذه العوالم وهو ربها، وهو رب العالمين، وكل ما سوىٰ الله من هذه العوالم، عوالم الطير، عوالم الأسماك، عوالم الحشرات، عوالم البشر، عوالم الجن، كل العوالم من النباتات والجمادات وسائر المخلوقات، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[الإسراء: ٤٤].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ. [٤]

---

[٤] بآياته ومخلوقاته، مهو بمثل ما يقول البعض: الله ما شفناه، بالعقل عرفناه! غلط، الكلمة هذه غلط، الله ما شفناه نعم، لكن عرفناه بآياته ومخلوقاته.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧].

مخلوقاته الشمس والقمر، فالعبارة التي تنتشر عند الناس، هذه غلط الصواب ما قرره هنا. وهذه الرسالة بالمناسبة مقررة عند الكثير، فكان الناس يهتمون بها ويقرئونها وكانت تُقرأ في المساجد، ويُعتنىٰ بها أشد العناية فلما كان الناس يعتنون بكتب العقيدة ما كانت عندهم هذه الفروق وهذه التوجهات ولكن لما انصرف الناس إلىٰ جلسات، قبسات، ومضات، ومن هنا وهناك، وصُرِفوا إلىٰ كتب فكرية وكتب عقلية وكتب حركية وكتب في المناهج المخالفة كانت مخرجاتها هذه التحزبات وهذه التكتلات، وهذا من الغلط والشر اللي انتشر في الناس حمانا الله وإياكم من ذلك، فلا بد من عودة الناس إلىٰ المشرب الصحيح إلىٰ الطريقة الصحيحة في العلم والتعلم فيبدئون بصغار العلم قبل كباره ويتناولون العلم أوله بأوله وهكذا.. فيعرف هذه الأساسيات ثم ينطلق إلىٰ ما بعدها، بهكذا تنجح أمورهم وتنجح دعوتهم فيكون لهم الأثر في المجتمع بإذن الله ﷻ. فشكر الله القائمين علىٰ هذا البرنامج اختيارهم لهذه الكتب.

وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ.

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا. [٥]

---

[٥] هنا ذكر هذا الكلام وسيستدل عليه، ولعلكم تلاحظون في الشيخ رحمة الله عليه في كتابه هذا، يقول والدليل علىٰ ذلك، ودليل ذلك، فإذا قيل لك ما الدليل، ردد هذه العبارة في هذه الرسالة مرات كثيرة، الكتاب معكم، عندكم بحث أريد الجواب غدًا، أكتب تساؤل، كم مرة طلب أو ذكر الشيخ الدليل، يعني كم قال والدليل علىٰ ذلك، ودليل ذلك، فإن قيل ما الدليل، اقرؤوها واحصوها وانظروا كم مرة تجدون ردد هذا المطلب، هذا تساؤل معكم غدًا إن شاء الله بعد المغرب نقرأ ذلك وأشوف إحصائيتكم، سبق أن أحصيناها مع مجموعة من الشباب في درس مثل هذا الدرس فأتوا مختلف قليلاً زيادة رقم ناقص رقم، هذه نتجاوز عنها في فهم القارئ، لكن كم مرة والدليل علىٰ ذلك، ودليل ذلك والدليل في ذلك، والدليل علىٰ ذلك، فإن قيل لك ما الدليل، كلها احصوها ستجدونها عدد، ستستغربون هذا الرقم، ولكن إن دل فإنما يدل علىٰ العناية بالدليل والتحقيق (أكثر من ٤٥ مرة).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧]. [٦]

---

[٦] إذن المدعو هو الله، المعبود هو الله، السجود له، الركوع له، الخضوع له، الذل له، الانقياد لأمره، الانتهاء عن نهيه، هذه هي معرفة ما معنىٰ الربوبية والألوهية.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾. [الأعراف: ٥٤] [٧]

---

[٧] تبارك الله رب العالمين، لأنه بيده الأمر وبيده الخلق، فمن كان بيده الخلق وبيده الأمر هو المستحق للعبادة.

والرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]. [٨]

---

[٨] قال والرب هو المعبود، اعبدوا ربكم وفي آخر الآية فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون، فالرب والإله هو المعبود وحده لا شريك له، فكلا الاسمين دالة علىٰ ذلك.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: «الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ، هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ». [٩]

---

[٩] كفار قريش خلقوا الأصنام، وعبدوها، نحتوا الأصنام فعبدوها، فهنا أراد أن ينبه قال فالخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة، هذا الذي صنع الصنم هو اتخذ هذا الصنم معبود، أذكر كنت في بلاد الهند، فدخلت في مكان فيه نحاسيات أعجبتني فأردت أشتري بعض النحاسيات، فإذا هناك أصنام وكان معي الأخ عفان – أحد الطلاب – في بنغلور، فصاحب المحل الهندوكي ممن يعبدون هذه الأشياء، فلما رآنا بلباس عرف أنا لسنا من الهند، من أي البلاد؟ كذا، بلاد العرب، قال أنا أحب الثقافات أحب كذا. وأنا لغتي ما بين الأردو والإنجليزي والعربي جمعناها وبارك الله، فكان معي – الأخ عفان- جزاه الله خير الذي أخطي فيه يصلح، فقال أنا قرأت وقرأت وقرأت، فكان حديثي معه، أفضل حديث تحدث به هؤلاء حادثهم وخاطبهم بخطاب النبي ﷺ لكفار قريش، فكانوا يعبدون الأصنام، يعني الأدبيات وما يسمىٰ ببعض اللغات الإيدلوجيات وطريقة التفكير واحدة، كل من عبد غير الله في الأصنام وكفار قريش طريقة الخطاب معهم واحدة لأنك بحاجة أن تقرر عنده مفهوم الربوبية حتىٰ يفهم ما معنىٰ الألوهية، كلمناه وقررنا معه، فتح فمه ومنصت وكان منصت جيد ما كان يقاطع ما كان يشاغب، آخر شيء أردت أن أبين له حقيقة، قلت هذه الأشياء أن تشتري فيها وتبيع قال نعم، قلت أي إله يُباع ويُشترىٰ! فكانت صدمة، قلت هذه صنعت وخلقت، قال نعم، قلت هي مخلوقة لا تخلق! قال نعم، قلت هي تحتاج لا تعطي!

فانصدم الصدمة الأخرىٰ، قلت أنا علىٰ رحلة وبودي معي وقت حتىٰ

أحدثك لكني أدعوك، ثم أعطيناه كتب أو رابط موقع المهم قلنا نحن نمشي لكن هذه الأشياء بإمكانك تبحث عنها وأقرأ واستزد، إن شاء الله تفهم، لكنه انصدم لأن حقائق أول مرة تمر عليه ما كان يفكر فيها، هذا مصنوع هذا مخلوق كيف يخلق، ولذلك ابن كثير قال والخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥٤]

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٩]

فلذلك عندما يتفكر الإنسان في الخلق والإيجاد والإحياء والإماتة هذه لوازم علىٰ توحيد الألوهية إذا أقر بالربوبية فهو لازم له، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] ولذلك كفار قريش غالب حجج مخاطبة هؤلاء كانت عقلية.

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥٤]

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]

الآخر كان يصنع صنم من تمر ويتقرب إليه وإذا جاع كلىٰ ربه، إذا جاع أكل التمر، لاحظتم طريقة التفكير! هنا إذا أنت فهمت الذي أمامك كيف يفكر استطعت من خلال ذلك أن تدعوه، أن تبين له أن طريقتك في التفكير فيها خلل، وهذه مع كل المخالفين بالعبادة أو حتىٰ الخوارج أو أهل البدع أو عموم هؤلاء، كيف يفكر هذا، تفكير غلط ولذلك الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة (قاعدة) اجعلها معك في الدعوة إلىٰ الله ﷻ (الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة.

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا: -مِثْلُ: الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ؛ وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ، وَالِاسْتِعَاذَةُ، وَالِاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا- **كُلُّهَا للهِ تَعَالَىٰ؛** [١٠]

---

[١٠] إذن ذكر أربعة عشر عبادة، الدعاء، الخوف، الرجاء، التوكل، الرغبة، الرهبة، الخشوع، الخشية، الإنابة، الاستعانة، الاستعاذة، الاستغاثة، والذبح، والنذر، لماذا اختار المؤلف هذه؟ لأن فيها زلت كثير من الطوائف، هذه هي مشكلات زمانه الذين وقعوا فيها، أنواع العبادة كثيرة صح ولا لا؟ لكنه ركز علىٰ الأربعة عشر لأنه اشتهر الوقوع في خلاف التوحيد فيها، فلما كان هذا أكثر ما انتشر من مخالفات في زمانه نبه عليها وبالتنبيه عليها يتضح غيرها، فمنها عبادات قلبية، منها عبادات قولية، منها عبادات مالية، منها عبادات عملية، هذه فيها كل الأنواع، نبدأ فيها واحدة واحدة وكلها ركز عليها وذكر أدلتها بالقرآن ثم ختم بحديث يدل عليها كلها.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]. [١١]

---

[١١] هذا الدعاء، «**الدعاء هو العبادة**» هذا حديث صحيح، وورد مخ العبادة وفيه ضعفٌ، لكن الصحيح الدعاء هو العبادة، والعبادة بالمفهوم الذي ذكرناه وشرحناه قبل هذا المجلس، الدعاء عبادة قولية وغالبًا يصدر بياء النداء، يا رب، يا الله، يا رحمن، يدعو هذا الدعاء.

أُمِرْنَا ألا ندعو إلا الله، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]. [١٢]

---

[١٢] صرف محض حق الله لغير الله هذا شرك وكفر (حُكْم)، أي شيءٍ هو محض حق الله صرفه لغير الله كفر وشرك ولو كان ذلك لأفضل أهل السماء (جبريل) أو أفضل أهل الأرض (محمد) ﷺ فغيرهم من باب أولىٰ، فكيف من صرف للجمادات، حجر، بشر، بقر، قبر.

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] سماهم كافرين.

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»[(١)]. [١٣]

---

[١٣] بيَّنا ضعفه، والصواب (الدعاء هو العبادة)

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]. [١٣]

[١٣] كل من ترك دعاء الله ودعا غير الله فقد تكبَّر، والواجب أن يدعو الله، ودعاء غير الله شرك.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨).

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥]. [١٤]

---

[١٤] الخوف: خوف طبيعي هذا ما فيه شيء، الإنسان يخاف من النار، يخاف من الثعبان، يخاف من الأسد، يخاف من الأشياء المحرقة، يخاف من الأشياء المضرة، هذا خوف طبيعي ما فيه شيء، أو إذا أفزعه أحد ثم انتابت حالة أو نوبة خوف ما فيها شيء طبيعي هذا، لا يمدح الإنسان بأنه ما يخاف من النار، ما هو مدح، أو يأتيه الثعبان وما يخاف من الثعبان، يلدغه الثعبان يموت، يقول أنا ما خاف أنا ما خاف، هذا خوف طبيعي ما يضر الإنسان خوفه، فلذلك يقول عنتر أتىٰ ثور في السوق، وكان الثور يجري بأعلىٰ حده، ومن كان أمامه رماه، فيأتي أحدهم قال يا عنتر يا عنتر هذا ثور في السوق أتلف الناس. قال وما يُدري الثور أني عنتر! الثور ما يعرف أني عنتر، ثور، الثور ثور ما يدري أن عنتر أمامه، فما يرده شيء، يعني سيضره، فكونه خاف منه ما ضر شجاعة عنتر، وإذا ضرب المثل في الشجاعة أتىٰ ذكر عنتر وما يُعاب أنه كذلك. الخوف الطبيعي ما فيه شيء.

في خوف شرك، أن يخاف غير الله كخوفه من الله، وأشده ما يسمىٰ خوف السر، عارفين خوف السر؟ خوف السر أن يُذكر صاحب قبر أو ساحر أو مشعوذ فإذا ذُكِرَ، قال أحد الحاضرين بهمس: اسكت اسكت لا يصيبنا منه ضرر، هذه الهمسة دليل علىٰ أنه يخشىٰ أن ذاك يعلم الغيب ويعلم ما فيه فيصيبه بضرر، فهذا من أشد أنواع الشرك في الخوف وهو خوف السر. أنه يخاف خوف داخلي في سرّه، هذا من أعظم الشرك أن يخاف غير الله خوف السر بدعوىٰ أنه يسرّه أو يضرّه.

فيه الخوف المحرم أن يترك واجب لأجل هيبة إنسان، هذا من الخوف

المحرم كأن يترك الصلاة أو يأجل غير وقتها حتىٰ يخرجها من وقتها أو غير ذلك مما يقع فيه بعض من عظموا الأشخاص أو الأعمال أو الوظائف، وهذا محرم.

الخوف هنا هو ما ذكرناه.

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾. [الكهف: ١١٠]. [١٤]

---

[١٤] لأنه يرجوه، يرجو مغفرته، يرجو رحمته، يرجو من الله، فهذا الرجاء لا يُقام غير الله في هذا المقام، فمن أقام غير الله في هذا المقام وقع في الشرك، كأن يرجو نواله أو تفريج كربة منه أو عطاء هذا لا يكون إلا من الله ﷻ، فمن رجىٰ الساحر أو رجىٰ القبر أو رجىٰ أحد في أمر لا يكون إلا من الله فوقع في هذا الشرك.

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]. [١٥]

---

[١٥] أنه تنبيه هنا في مسألة التوكل، فرق بين التوكل والتوكيل، التوكيل إنابة الغير في ما تصح فيه الإنابة، ينيب عنه بعقود، ينيب عنه في شراء، في بيع، فسخ أشياء، أقامه مقامه في أمور أوكلها إليه.

أما التوكل فهو يختلف عن التوكيل لأن التوكل اعتماد القلب والتفاته بكليته علىٰ الله، ثم هناك تنبيه أن التوكل عبادة قلبية ليست لفظية، فلا يقول لشخص توكلت علىٰ الله وعليك، ما يجوز، بل بعض أهل العلم ينبه حتىٰ علىٰ كلمة توكلت علىٰ الله ثم عليك، لأن التوكل عبادة محضة قلبية لله ﷻ.

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠]. [١٦]

---

[١٦] رغبةً منه ورهبةً منه، والخشوع هو زيادة في الخوف، أي خوف بعلم، ولذلك امتدح الله أهل العلم بالخشية.

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٣]. [١٧]

---

[١٧] الخشوع انكسار يؤثر علىٰ العين فتدمع، وعلىٰ الجسد فيخشع، وربما علىٰ الإنسان فيبكي، أما الخشية فهذا خوف بعلم.

وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]. [١٨]

---

[١٨] الإنابة والأوبة والتوبة والمنيب هو العائد الرَّجَّاع إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ.

وَدَلِيلُ الِاسْتِعَانَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»(١). [١٩]

---

[١٩] والاستعانة طلب العون والمدد من الله، وهو المعين.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).

وَدَلِيلُ الِاسْتِعَاذَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]. [٢٠]

---

[٢٠] الاستعاذة من العوذ وهي طلب المأمن من شر مخوف، استعاذ بالله أي طلب المأمن من شر مخوف، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فهو يطلب الأمن من الله من شر المخوف وهو الشيطان.

وَدَلِيلُ الِاسْتِغَاثَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]. [٢١]

---

[٢١] طلب الاستغاثة هي طلب السلامة من شر متحقق، فهي تختلف عن الاستعاذة طلب المأمن من شر مخوف، أما الاستغاثة طلب السلامة من شر متحقق، فهو يستغيث حتىٰ يدفع ويمنع عنه ذلك الشر القائم المتحقق فيه وهي أعلىٰ من الاستعاذة، وهي تجوز لمن يستطيع أن يغيث فيما يقدر عليه المغيث، أما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يُسأل إلا من الله، وهذه يلزم لها أمور: أن يكون حيًّا حاضرًا قادرًا، فإذا استعاذ أو استغاث أو استعان بميت أو عاجز أو غائب دخل في الممنوعات.

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(١). [٢٢]

---

[٢٢] الصلاة والذبح لله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

فكما أنك لا تصلي إلا لله لا تذبح إلا لله، وفي الحديث: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٢٤٠).

(٢) تقدم تخريجه.

وَدَلِيلُ النَّذْرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧]. [٢٣]

---

[٢٣] لأنه لا يُنذر إلا لله عَزَّ وَجَلَّ.

هذه أقسام وأنواع ذكرها المؤلف هنا فيما يتعلق بالعبادة ولو أردنا أن ننظر لها لضبطنا من خلالها أنواع العبادة التي قسمناها في المجالس السابقة، نستطيع أن نرىٰ ونفندها، هذه قولية، هذه قلبية، هذه عملية، هذه مالية.. صح ولا لا، هذه متعلقة بزمان، هذه متعلقة بكل آن، معاك، التوكل، أني معك في كل لحظة التوكل علىٰ الله، ولذلك من دعائه ﷺ اللهم لا تكلني إلا نفسي طرفة عين، نسأل الله أن يتولانا.

[الأصل الثاني]

مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ

وَهُوَ: الِاسْتِسْلَامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالِانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.[١]

---

[١] هذا هو الإسلام، الاستسلام لله بالتوحيد، مستسلم، لا لآراء، ولا لأفهام، إنما للتوحيد العبادة، توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

والانقياد له بالطاعة، الطاعة لله ﷻ ولمن أمر الله بطاعته وفق طاعة الله لا في معصيته، والبراءة من الشرك وأهله: هذا فيه أمرين، الأمر الأول أنه يبرأ من الشرك والوقوع فيه، والأمر الثاني البراءة من المشركين الواقعين في الشرك.

المرتبة الأولى

وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ.

وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ. [٢]

---

[٢] مراتب الدين، بدأ بالإسلام والإيمان والإحسان، وسيذكر مراتب الإسلام الخمسة ثم سيذكر مراتب الإيمان الستة يعني أصول الإيمان ثم سيذكر الإحسان، هذه الثلاث كلها مراتب الدين، فمرتبة الإحسان أعلاه وأرقاه ومرتبة الإيمان فوقها مرتبة الإحسان، ودائرة الإسلام عامة تشمل الجميع، وإذا أتىٰ ذكر الإسلام مع الإيمان عُنِيَ الإسلام بالأعمال الظاهرة وعني الإيمان بالأمور الباطنة، وإذا ذكر الإيمان دون الإسلام فيحمل معنىٰ الإسلام والإيمان، وإذا ذكر الإسلام دون الإيمان فيحمل اسم الإسلام والإيمان، فهي من الألفاظ التي تجتمع إذا افترقت وتفترق إذا اجتمعت.

فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ. [٣]

---

[٣] مبناه حديث النبي ﷺ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: **«بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»**(١).

---

(١) رواه البخاري: (٨) ومسلم (١٦).

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨]. [٤]

---

[٤] هذه الشهادة وهذا دليلها وسيأتي تفصيل ذلك.

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

«**لَا إِلَهَ**»: نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِن دُونِ اللهِ.

«**إِلَّا اللهُ**»: مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ.

لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ. [٥]

---

[٥] قال الشهادة ثم معناها ثم ذكر أركانها ثم تفسيرها.

لأن هناك معبودات لكن كلها معبودات بالباطل ما هي بالحق، الذي عُبِدَ بحق هو الله وحده لا شريك له.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، وَقَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَدَلِيلُ شَهادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؛ قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]. [٦]

---

[٦] شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، معناها في القرآن ظاهر.

﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]

لا إله إلا الله لها ركنين: النفي والإثبات.

فنجد النفي كالآية التي ذكر: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦ – ٢٧].

إنني براء مما تعبدون: هذا نفي.

إلا الذي فطرني: هذا معنىٰ إلا الله.

فقوله إنني براء مما تعبدون فيها معنىٰ لا إله.

إلا الذي فطرني فيها معنىٰ إلا الله فهنا يتضح معنىٰ الشهادة أن لا إله إلا الله.

ألا تعبدوا إلا الله:

ألا تعبدوا: هذا معنىٰ لا إله.

إلا الله: هذا معنىٰ إلا الله، هذا واضح في هذا اللفظ.

فكل الآيات دلت علىٰ شهادة أن لا إله إلا الله أي نفي الشرك وإثبات التوحيد.

لا إله: نفي الآلهة وإثبات أن الحق المعبود هو الله.

لا إله إلا الله لها شروط:

يقول أهل العلم شروط لا إله إلا الله سبعة، جمعها الشاعر في بيت من الشعر.

علمٌ يقين وإخلاصٌ وصدقك مع   محبةٍ وانقياد والقبول لها

ما معنىٰ هذا؟

علم بلا إله إلا الله والله ﷻ يقول: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد: ١٩].

هذا بيان العلم، علم ينافي الجهالة، فلا يكون جاهل بلا إله إلا الله، يُشترط، شرط هذا.

وهذه الشروط استقرائية من الأدلة التي وردت في ذلك، فهي شروط لا إله إلا الله.

فالذي يقول لا إله إلا الله لا بد أن يقولها ومعها معاني السبعة أمور.

يقول لا إله إلا الله عالمًا بها علمًا ينافي الجهالة ويقينا ينافي الشك وإخلاص ينافي الشرك وتصديق ينافي التكذيب ومحبة تتنافىٰ البغض وانقياد وقبول ينافي الترك

والرد، هذه شروط لا إله إلا الله وكل شرط له ضده فالتزم منها أربعة عشر أمر وهي السبعة وأضدادها، أن يعلم بلا إله إلا الله علمًا ينافي الجهالة، علم يقين ينافي الشك، وإخلاص ينافي الشرك، وتصديق يتنافى التكذيب، ومحبة تنافي البغض والكراهية فلا يبغض ما أتت به ولا يكره ما أتت به، فهو مصدق تصديق يلتزم بكل ما كان من دين الله، هذه الشهادة التي دخل بها الإسلام، وانقياد وقبول ينافي الترك والرد فلا يقبل ما أراد هواه ويرد ما لم يقبل هواه، ولا يترك، إنما هو مستقيم مستجيب لأمر الله منفذ.

وَمَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ. [٧]

---

[٧] هذه أربع لوازم لشهادة أن محمدًا رسول الله.

الأولىٰ طاعته فيما أمر: طاعة وامتثال واستقامة علىٰ أوامر النبي ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ**»، قالوا: يا رسول الله: ومن يأبىٰ؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبىٰ**»(١).

تصديق ينافي التكذيب، فإذا أتىٰ الخبر عن رسول الله ﷺ لا يقول أنا لا أصدق هذا! حديث صريح صحيح ترده لماذا؟ يُخشىٰ علىٰ إيمان من رد السنة، من رد السنة الصحيحة الصريحة الواضحة، شهادته أن محمدًا رسول الله شهادة فيها خلل، لا بد أن يصدق بما أخبر ﷺ بما قد كان وما هو كائن وما سيكون، فأخبر عن مغيبات وعن أمور الغيب فيُخشىٰ علىٰ من أنكر نصوص عذاب القبر أو نصوص المهدي أو نصوص.. يُخشىٰ علىٰ هذا! كيف ترد ولا تصدق في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ!

واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، المناهي التي قد نهىٰ عنها النبي ﷺ، لأن الامتثال والانتهاء أمرنا الله به فقال لنا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر: ٧].

---

(١) صحيح البخاري (٧٢٨٠).

فالأصل في الأوامر الامتثال، والأصل في النواهي الترك وجوبًا إلا ما عُذِرَ الإنسان بعدم فعله، وأما المنهيات كلها يتركها. ولذلك قال ﷺ: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم**..»(١) هذا من لوازم شهادة أن محمدًا رسول الله.

قوله: وألا يُعبَدُ الله إلا بما شرع: لا بالبدع، فتعبد الله وفق الشرع، بل إن عباداتنا لا قبول لها إلا أن تكون موافقة لهدي الرسول ﷺ، يعني ما تجيب عبادة من رأسك، يعني بعض الناس يقول يا أخي والله الحمد لله، طيب ليش تسوي كذا؟ ليش تمارس هذا الفعل؟ ندور الخير يا أخي نتقرب إلىٰ الله، لو كان فيها خير لسبقونا إليها، فما لم يسبقونا إليه لا تأتيه، أو بعضهم يقول نتدين لله ﷻ نمارس عمل صالح، طيب هل فعلوه؟ يأتي بعضهم ويجادل ويقول وهل منعوه؟ نقول ما لم يكن ذلك اليوم دين ما يكون اليوم دين، ما عندنا شيء جديد، عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كفيتم، عليكم بالعتيق**»(٢). هذه الكفاية يعني شأن الدين ليس بالآراء، العبادات هذه التي نحن نمارسها الأصل فيها كما ذكرنا المنع والتوقف إلا بدليل.

---

(١) صحيح مسلم (١٣٢٧).

(٢) رواه أبو خيثمة في «العلم» (ص٥٤).

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرِ التَّوحِيدِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾. [البينة: ٥] [٨]

---

[٨] وما أمروا: هذا أمر، ما يتعبدون إلا بأمر.

مخلصين له الدين: هذا المقصد ثم متابعة للنبي ﷺ.

حنفاء: أي علي توحيد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هذا الدين وما ذكرت الصلاة إلا وذكرت معها الزكاة في أغلب آيات القرآن فهي قرينة الصلاة وأتت تفصيلاتها في السنة النبوية، وإنك لتعجب من أناس يتركون السنة ويقولون نحن نعتمد علىٰ القرآن والسنة ما ندري عنها، هذا يُخشىٰ علىٰ إيمانه، يُخشىٰ علىٰ إسلامه.

«ألا إني أُوتيتُ الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثلة معه»(١).

كيف تزكي؟ إلا من طريق السنة، معرفتها بالأدلة، كيف تصلي المغرب والظهر والعصر هذه ثلاث وهذه ركعتين وهذه.. ما هو بالقرآن هذا، هذا بالسنة، فهؤلاء تلاعب بهم الشيطان كما تلاعب بأوائلهم وهم الخوارج الذين أنكروا السنة.

---

(١) [جزء من حديث رواه أحمد: (١٧١٧٤)، وأبو داود: (٤٦٠٤)، أول كتاب السنة، باب: «في لزوم السنة»].

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

وَدَلِيلُ الْحَجِّ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧]. [٩]

....

المرتبة الثانية

* **الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِيمَانُ؛** وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ. [١٠]

---

[١٠] إذن هنا نتكلم عن الإيمان، الإيمان ذكر هذا الحديث دليل عليه، وهذا الحديث فيه تأصيل اعتقاد أهل السنة والجماعة في الإيمان ما كان عليه السلف الصالح.

قال بضع وسبعون: إذن فيه شعب ومراتب.

أعلاها: دل علىٰ أن فيه أعلىٰ.

أدناها: دل علىٰ أن فيه أدنىٰ.

قول؟ دل علىٰ أن فيه قول.

إماطة الأذىٰ: دل علىٰ أن فيه فعل الجوارح.

والحياء شعبة: دل علىٰ القلب.

إذن هذا الحديث هو ما صاغه أهل السنة في قولهم الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان، كلها مبنية علىٰ هذا النص، وهذا النص تفسير هذه العبارات التي ذكرناها خالف فيها كثير من المخالفين.

جمعها الناظم في بيت من الشعر يشمل تعريف الإيمان قال فيه:

إيماننـــا قـــولٌ وفعـــلٌ ونيـــةٌ   يـــزدادُ بـــالتقوىٰ ويـــنقص بـــالردىٰ

هذا البيت فيه تعريف أهل السنة بالإيمان.

فيه رد علىٰ المرجئة فيه رد علىٰ الأشاعرة فيه رد علىٰ الكرامية فيه رد علىٰ كل من خالفوا في مسألة الإيمان.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَدَلِيلُ الْقَدَرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]. [١١]

---

[١١] هذه الآية اشتملت علىٰ خمسة، والقدر استشهد بآية أخرىٰ لها.

هذا إيماننا نؤمن بالله ﷻ أن له أسماء وصفات ونؤمن به سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ونثبت له ما أثبته لنفسه وما أثبته له نبيه ﷺ ونؤمن كذلك بملائكته الذين خلقهم من نور يفعلون ما يؤمرون، منهم من سماهم ومنهم من لم يسمي فنؤمن بالإجمال علىٰ ما ورد بالإجمال وعلىٰ التفصيل بما ورد بالتفصيل بالنسبة للملائكة خيرهم جبريل عليه السلام موكل بالوحي وغيره موكل بالقطر وغيره ملائكة أوكلت بأمورها كملك الموت وغيره، وكتبه: الكتب التي أنزلها الله تبارك وتعالى علىٰ رسله الزبور والتوراة والإنجيل والصحف والقرآن، هذه الكتب كلها كلام الله ختم الله بها القرآن فنسخ به ما قبلها منه بدأ وإليه يعود.

ورسله: نؤمن بما أخبر الله به تبارك وتعالى علىٰ رسله لا نفرق بين أحد من رسله عددهم كثير أتىٰ في القرآن ذكر ٢٥ بل منهم من قص الله ومنهم من لم يقصص علينا.

أولوا العزم منهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد صلىٰ الله عليهم وسلم أجمعين وعلىٰ نبينا محمد أفضل الصلاة وأزكىٰ التسليم خيرهم

الخليلين إبراهيم ومحمد ﷺ وخيرهم محمد ﷺ خير الورىٰ وخير البرية وخير خلق الله أجمعين.

ونؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، ما علمنا منه وما لم نعلم، كل هذه الأشياء التي مرت بنا مما قدره الله علينا فعلمنا بها ومن المقادير التي لم نرها، نسأل الله أن يصرف عنا شر ما قضىٰ وأن يبارك لنا فيما قد قضىٰ وأن لا يؤاخذنا بزلاتنا وأخطائنا، إيماننا بالقضاء والقدر بخيره وشره ومره هذا ما نعتقده في ما يتعلق بمسائل أركان الإيمان الستة.

واليوم الآخر: أن هناك يوم يجمع الله فيه العباد: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦].

يجمعهم الله ذلك اليوم ويحاسبهم علىٰ ما فعلوا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

يوم القيامة يوم عظيم، يبعث الله فيه العباد فيحاسبهم فتُجمع رفاة الناس فيبعثهم الله ﷻ، ردٌ علىٰ من أنكر: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

هذا في بيان مجمل هذه الأصول.

المرتبة الثالثة

* **الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْإِحْسَانُ** -رَكْنٌ وَاحِدٌ-؛ وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. [١]

---

[١] هذا فيما يتعلق في الإحسان، وأذكر شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال وإن قيل فيه ركنين لا بأس، ركن مشاهدة وركن مراقبة.

أن تعبد الله كأنك تراه هذه المشاهدة.

فإن لم تكن تراه فإنه يراك هذه المراقبة هذا ذكره شيخنا الشيخ بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه للأصول وعلىٰ كل هي مرتبة عالية راقية نسأل الله أن يبلغنا وإياكم ذلك وأن يجعلنا دائمًا مستحضرين في عباداتنا وأقوالنا وفي أفعالنا لهذا الركن العظيم وهو الإحسان.

هذه المرتبة الراقية العالية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

هؤلاء الله معهم معية خاصة في حفظ وتأييد جعلنا الله وإياكم منهم.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

وَقَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾. [الشعراء: ٢١٧-٢١٩]

وَقَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُوا۟ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] الآية. [٢]

---

[٢] الذي يراك حين تقوم: هذه المراقبة.

أي ما تأتي وما تذكر كله تحت علم الله ﷻ فالإنسان يضعف إيمانه فتغيب عنه هذه الحاسة فيمارس ما يقع فيه من أخطاء، والمستحضر لها يهاب من نظر الله إليه فينصرف عن الوقوع فيها خاصة في ذنوب الخلوات، فالمستحضر المستشعر الذي علىٰ إيمانه وبلغ مراتب الإحسان تجده في حال الخلوات حاله أفضل من حضرته مع الناس، ومن ضعف إيمانه تجده في حال الخلوة ربما يقع فيما يقع فيه مما لا يراقب فيه ولا يستشعر فيه لضعف في إيمانه فيقع في المخالفات ويقع في الذنوب فدائمًا يحاول العبد أن يرقِّي من إيمانه ويراقب الله عز وجعل ويجعل مراقبته لله مراقبة دائمة مستمرة ويحاسب نفسه ويراقب نفسه حتىٰ يبلغه الله مبالغ المحسنين فيتولاه وإذا تولاه حفظه: «**وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه...**»(١).

---

(١) جزء من حديث قدسي – صحيح البخاري (٦٥٠٢).

أي يا عبد الله كل ما تقرب من الله فإنك محفوظ، فإذا وجدت أن في نظرك انفلات وفي سمعك انفلات وفي يدك انفلات وفي جوارحك انفلات فاعلم أن الله تخلىٰ عنك واعلم أنك قد أُوكلتَ إلىٰ نفسك فبم يتولاك ولست من أوليائه فقد تولاك من غلبت عليه شقوته شيطانك تولاك، انتبه أن يتولاك شيطانك في هذه اللحظة التي أنت تمارس فيها المعصية هذا ضعف في إيمانك ارجع إلىٰ الله عد إلىٰ الله تب إلىٰ الله يحفظك الله ﷻ فاللهم لا توكلنا لأنفسنا طرفة عين ونسأل الله أن يحفظنا بحفظه ويتولانا ويرعانا وأن لا يؤاخذنا، أنفسنا محل الضعف، محل الخلل، محل الزلل، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، جاهد نفسك جاهدها العبد يضعف لكن عليه المجاهدة فبقدر ما يجاهد نفسه مع الله تولاه الله ويحفظه الله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

جاهد، جاهدها كلنا ذاك الذي يحصل منه الخلل والزلل والضعف، لكن لا بد أن نجاهد أنفسنا، جاهد نفسك يا عبد الله، جاهد نفسك يا عبد الله، جاهد نفسك يا عبد الله، بقدر ما تقع فيه من الزلل جاهدها، فإن زل لسانك أكثر من ذكر الله، أكثر من قراءة القرآن، وإن زل بصرك احجبه عن الحرام وأطلقه في الآيات وفي القرآن وأقرأ وأتلو، إن زل سمعك اجعل سمعك في القرآن وأحاديث النبي ﷺ، إن زلت أقدامك في المعاصي أكثر من سيرها لبيوت الله وللأعمال الصالحة، إن زلت يدك أنفق في سبيل الله، ابذل الخير، أعن ساعد من يحتاج لمساعدتك، كل جارحة مارست فيها ما يغضب الله أبدل ذلك إلىٰ أن تمارس فيها ما يرضي الله ﷻ، هذا من مجاهدتك لنفسك، وإن كنت كذلك سيتولاك الله وإذا تولاك، وفقك لفعل التوحيد والابتعاد عن الشرك، ولي الله هو من كان يفعل التوحيد ويبتعد عن الشرك، ولي الله هو القائم بالسنة البعيد عن البدعة، ولي الله، هو القائم بالطاعات

البعيد عن المعاصي والمنكرات، وولي الله هو المنصرف عن الشهوات والشبهات، هذا ولي الله هذا حبيب الله سواء مسلم جديد ولا مسلم له زمن ولا عربي ولا عجمي ولا ذكر ولا أنثىٰ ولا صغير ولا كبير، إن حقق هذه الثمان هو ولي الله، نسأل الله أن يتولانا وإياكم، هذا ولي الله.

وإذا وجدت نفسك تقع في الشركيات أو في البدع والمنكرات أو في الشهوات والشبهات فاعلم أن الشيطان تمكن منك وتولاك، فكن من أولياء الله كن من أولياء الرحمن ولا تكن من أولياء الشيطان فإن تولاك الشيطان فثم النار النار حمانا الله وإياكم.

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ، عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ!

أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»**. قَالَ: صَدَقْتَ -فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ-.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟

قَالَ: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**، قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟

قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟

قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟

قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ، يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ».

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»(١). [٣]

---

[٣] هذا حديث عظيم، تناول شرائع الدين الإسلامي، وهذا حديث من أشرف الأحاديث فينبغي لطالب العلم أن يحفظه ويتفقه فيه ويقرأ معانيه ويطبق ما فيه، فيه بيان التعلم والتعليم.

إذ طلع علينا رجل: يعني أتاهم هذا الرجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر هذه الملاحظة لماذا لاحظوها؟ لأنهم اعتادوا علىٰ أن الغريب يظهر عليه علامات السفر، هذا لم يظهر عليه علامات السفر، ولم يُعلم أن أحد أتىٰ، لأن المدن صغيرة ولها بوابات فإذا أحد دخل عرفوا أن فلان دخل أو شخص دخل، هذا ما عرفوه، وأسئلة جريئة.

ثانيًا: قوله لم يعرفه منا أحد دل علىٰ أن جبريل هذه المرة أتىٰ بصورة ليست الصورة المعتادة فدائمًا يأتي بصورة دحية الكلبي، فقوله لم يعرفه منا لم يأتي بصورة دحية، لو أتىٰ بصورة دحية لعرفوا أن هذا دحية، لكن لا أتىٰ بصورة غير دحية، حتىٰ رسول الله لم يعرفه بدليل قال ما المسئول بأعلم من السائل إلا أنا ولا أنت تعرفها، فقال فلبثت مليًّا فقلت يا عمر أتدري من السائل؟ هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم، مليًّا قيل ثلاثة أيام، بعد ثلاثة أيام آنذاك، وأتىٰ في رواية أخرىٰ أنه قال: (... فوالذي نفسي بيدِهِ ما شبّه عليّ منذُ أتاني قبلَ مدّتي هذهِ وما عرفتُه حتىٰ وَلّىٰ)(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٨).
(٢) السنن الصغرىٰ البيهقي (١٤/ ١).

أي ما عرفته هذه المرة، أسئلته جريئة حتىٰ الصحابة يقولون فعجبنا له يسأله ويصدقه! العادة السائل يسأل يريد الجواب ولكن هذا يسأل يريد أن يعلم الحضور ما جواب هذا السؤال.

ولذلك يقولون الصحابة كنا نفرح بالأعرابي إذا أتىٰ لأنه جريء، يسأل أسئلة، لهيبتهم من رسول الله ﷺ، فهذا أتىٰ يسأل وأسئلته قوية، قال إنما أتىٰ يعلمكم أمر دينكم، استعرض أشياء ذكرناها وشرحناها وذكر في علامات الساعة أن تلد الأمة ربتها، يكثر العقوق، نرىٰ العراة الحفاة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان، فيتحول الناس من البوادي إلىٰ الهجر ويسكنون، ولذلك سميت هجرة لأنها تنقل من البادية إلىٰ المدينة، فيمارسون فيها التجارات وتتفتح عليهم الخيرات ويتسابقون في البنيان، هذا يبني دورين، هذا يبني خمسة، هذا يبني ستة، هذا يبني عشرة، فيتطاولون كل يريد أطول من الثاني، وهم كانوا بالأمس حفاة رعاة عراة رعاة الشاء، ليسوا أهل الإبل فيهم يعني علية القوم وهكذا أهل الإبل ينظرون أحوالهم علىٰ أهل الغنم الكل يملكها ولكن الإبل ليس كلن يملكها ومن هذا القبيل وعلىٰ كل هي من علامات الساعة، وهي من علامات الساعة المتكررة، يعني قد حصلت في أزمان، وتحصل في أزمان، لأن علامات الساعة منها ما قد مضىٰ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١] انشقاق القمر في وقت النبي ﷺ.

«بُعِثت أنا والساعة كهذه من هذه، أو: كهاتين وقرنَ بين السبابة والوسطىٰ»[(١)].

هذه أشياء مضت، في أشياء متجددة **«يوشك أن تداعىٰ عليكم الأمم من كل**

(١) صحيح البخاري (٥٣٠١).

أفق، كما تداعىٰ الأكلة إلىٰ قصعتها، قيل: يا رسول الله! فمن قلة يومئذ؟ قال لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم؛ حبكم للدنيا وكراهيتكم الموت»(١).

تجدد، يقوي المسلمين، يقوي عدوهم، أحيان يغلب عليهم عدوهم، وأحيان هم يغلبون ثم يعودون، وهكذا.. كما حصل في كثير من الأمور التي حصلت كما أيام الصليبية ثم عادوا أيام الاستعمار ثم عادوا وهكذا.. ثانيًا فيه تنبيه مهم بالنسبة لأشراط الساعة وأمور الساعة أنها لا تُربط بواقع الحال، لا يقول إنسان هذه هي التي فيها علامة يوم القيامة وبداية خروج المهدي، لا! ما تُربط ولا يُستعجل في تأويلها أنها بواقع الحال، إنما تُذكر هذه الأشراط ويُؤخذ الحذر من ذلك، وهناك أشراط لم تأتي بعد وهي أشراط الساعة الكبرىٰ، إذن أشراط قد مضت، أشراط متجددة، أشراط لم تأتي بعد وهي إذا أتت انفرطت كالعقد، وهي أشراط الساعة الكبرىٰ وهي العشر.

أماراتها: أي علاماتها، يعني أشراط الساعة.

الأشراط يعني العلامات.

الآن ليش سموا الشرطة شرطة؟ لأن أول ما يخرج الحاكم قبل أن يخرج من علامات وإمارات خروجه يخرج حراسه، فهم أشراط خروج الإمام، فسميت الشرطة شرطة لأنهم أول من يخرج ثم هو، فهم من الأشراط، يعني أشراط خروج الحاكم والأمير علامات خروجه خروج الشُرَط فهم أشراط خروجه، فسميت

---

(١) صحيح الجامع (٨١٨٣).

الشرطة شرطة.

الله ورسوله أعلم: في حياة الرسول، نقول الله ورسوله، أما بعد موته ﷺ نقول الله أعلم.

[الأصل الثالث]

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ -عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ-.

وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً -مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا-. نُبِّئَ بِاقْرَأْ، وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِّرِ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ. [٤]

---

[٤] هذا نسب النبي ﷺ، وهو خيارٌ من خيار، يقول عن نفسه «خَرجْتُ من نِكاحٍ، و لَمْ أخرجْ من سِفاحٍ، من لَدُنْ آدَمَ إلىٰ أن ولَدَني أبي و أمِّي، لم يُصبْنِي من سِفاحِ الجاهِليةِ شيء»(١).

قوله: نبياً ورسولا: فهو نُبِّئَ بـ(اقرأ) و أُرسل بـ(المدثر) و(المزمل)

مكث في قومه ٤٠ سنة، وهو لم يبعثه الله رسول، لكنه لم يمارس ما مارسوه، فما شرب الخمر وما وقع فيما وقعوا فيه، وما سجد لصنم فحفظه الله.

قوله: بلده مكة: أي بلده الذي وُلد فيه ونشأ فيه، وإلا هو هاجر إلىٰ المدينة بعد ما بعثه الله بثلاثة عشر عامًا، أي وله من العمر ٥٣ سنة.

---

(١) صحيح الجامع (٣٢٢٥).

بَعَثَهُ اللهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ١-٧].

وَمَعْنَىٰ ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، ويَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾؛ الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ. [٥]

---

[٥] النذارة من الشرك، فهو ينذر من خطره، ويبشر الواقعين فيه بعذاب عظيم.

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]

«يا أيُّها النَّاسُ قولوا لا إلَهَ إلّا اللهُ تُفلِحوا»(١)

فأنذرهم وحذرهم.

قم فأنذر: بالتوحيد، أنذرهم من خطورة ما وقعوا فيه، وكبّر بالتوحيد، وثيابك فطهر من الشرك، والرجز فاهجر أي الأصنام.

---

(١) الصحيح المسند الوادعي (٥١٦)

قوله: وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا: وهدمها وتكسيرها، فقد أتلفها ﷺ.

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[الإسراء: ٨١].

وكان حول الكعبة ٣٦٠ صنم، وفي بداية أمره كان يصلي عند الكعبة والأصنام حوله، وكان الصحابة أحدهم يأتي إليه.

«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر»(١)

فالصبر منهج شرعي، فالواجب علىٰ من أبتُلي بما يشاهد ويرىٰ من الأشياء التي تخالف، أن يستمر في دعوته ويصبر.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٦٩٩٨) ٤/ ١٠٣، والطبراني في مسند الشاميين رقم (٩٥١) ٢/ ٧٩، والحاكم في المستدرك رقم (٨٣٢٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٣) ١/ ٣٢

وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ. [٦]

﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

---

[٦] أُسرِيَ به من الأرض، من مكة إلىٰ القدس عند المسجد الأقصىٰ، ثم عُرِج به من المسجد الأقصىٰ إلىٰ سدرة المنتهىٰ.

وليس للإسراء والمعراج تاريخ معلوم كما يفعل بعض الناس في رجب ويمارسون ذلك، وغالب أهل البدع يقعون في مثل هذا ويحتفلون، لكنهم يحتفلون بالإسراء والمعراج ويعلمون أنه عرج به إلىٰ الله في السماء ولا يؤمنون بالعلو! فيا لله العجب..

قوله: وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمس :

الصلوات فُرضت في السنة الحادية عشر من مبعثه ﷺ، قبل هجرته بثلاث سنين، كانت بداية الأحكام في التوحيد وتقرير التوحيد، غالب ما في الأمور المكية، وقبل هجرته بثلاث سنين أي في السنة الحادية عشر من مبعثه بدئوا بالصلاة و أحكام الصلاة واستمر علىٰ ذلك، فهو دعوته إلىٰ التوحيد ٢٣ سنة في مكة وفي المدينة، فأول ما بدأ: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»(١)

وفي السياق والنزع كان يقول: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ والنَّصَارَىٰ،

---

(١) سبق تخريجه ص ١٠٦

اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(١).

فمن مبعثه إلىٰ موته ﷺ وهو يحذر من الشرك.

---

(١) صحيح مسلم (٥٣٠)

وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

وَالْهِجْرَةُ: الِانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الْإِسْلَامِ. [٧]

---

[٧] الهجرة إلىٰ المدينة لما حصلت المضايقة للنبي ﷺ بدأ الصحابة فهاجروا إلىٰ الحبشة وهي الانتقال من بلاد كفر يُعادىٰ فيه أهل الإسلام إلىٰ بلاد كفر لا يُضايقون في دينهم.

ثم بعد ذلك انتقلوا إلىٰ المدينة فأُذن للنبي ﷺ بالهجرة من مكة، لأن مكة ذلك الوقت بلاد كفر ليست بلاد إسلام، وكانت فيها الكعبة، وكان وهو في المدينة تحول بالقبلة إلىٰ مكة وكانت مكة دار كفر وفيها الكعبة ويستقبل الكعبة، لكن غلب عليها المشركون إلىٰ أن مكّن الله له فتحها الله علىٰ يديه ﷺ فأصبحت دار إسلام فقال: «**لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ**»(١)

فانقطعت الهجرة التي فيها الوصف، وبقيت الهجرة العامة التي يُهاجر فيها المسلم من بلاد الكفر إلىٰ بلاد الإسلام.

أما الهجرة الخاصة التي يوصف فيها المهاجرين وما في فضلها الأول قد انقطعت.، وبقيت الهجرة كما يهاجر الإنسان من بلاد الكفر إلىٰ بلاد الإسلام، ولكن يا لله العجب ! من أناس يهاجرون من بلاد الإسلام إلىٰ بلاد الكفر ويسمونها أرض المهجر.

قوله: وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الإِسْلاَمَ: وليست العكس!

---

(١) صحيح مسلم (١٨٦٤)

الهجرة من بلاد الإسلام إلىٰ بلاد الكفر!! وغالب هؤلاء تأويهم بلاد الكفر ويسمىٰ بلاجئ ويُدعمون ولهم منظمات ولهم جهات، والله لو علم الكفار أن في هؤلاء خير ما ناصروهم ولكن علموا أن هؤلاء معاول هدم علىٰ بلادهم ولذلك تتلقفهم بلاد الكفر وتهيئ لهم قديما وحديثا وسائل وسبل لأن يهدموا الإسلام من أبناء الإسلام ضد أهل الإسلام، فاتخذوهم سلاح حتىٰ يقاتلوا بهم وبطرحهم وبتناقضاتهم ولكن هؤلاء لهم وصف في الشرع أن كل من خرج عن بلاد الإسلام ولو قيد شبر خرج من الإمامة والجماعة والطاعة والبيعة فنقضها، ومن اعتزل الجماعة قيد شبر خلع ربقة الإسلام من عنقه كائنًا من كان.

«من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٨)، وأحمد (٢١٥٦١) باختلاف يسير، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٩٢) واللفظ له

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت: ٥٦]. [٨]

---

[٨] وهي واجبة - أي الهجرة - ولذلك كل من كان في بلاد الكفر يجب عليه الهجرة إلىٰ بلاد الإسلام، ويبحث عن المكان الذي يستطيع أن يقيم فيه أو يأخذ السبل التي تعينه علىٰ الإقامة فيه وإن بقي فهو آثم، وإن كان يُمتحن في دينه - أي لا يقيم الشعائر الدينية - لا الصلاة ولا الأذان ولا العيد، أي مظاهر الإسلام الظاهرة فتجب وجوبًا عيني.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧]

سماهم ظالمي أنفسهم ولهم وعيد.

﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٨ - ٩٩].

هؤلاء المستثنين من الوعيد.

قَالَ الْبَغَوِيُّ ﵀: «سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا؛ نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ».

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ؛ قَوْلُهُ ﷺ: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، ولَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(١). [٩]

---

[٩] يعني الهجرة العامة باقية من بلاد الكفر إلىٰ بلاد الإسلام، هجرة المعصية، هجرة البدعة.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤٦٩).

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ؛ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، -مِثْلُ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ- أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

وَتُوفِّيَ ﷺ وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ. [١٠]

---

[١٠] غالب الأحكام التكليفية كانت في المدينة لم تكن في مكة قوله: أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ: أي في المدينة بعد هجرته وقوله: وَدِينُهُ بَاقٍ: لأن الله تولى ذلك.

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فالدين الباقي المحفوظ هو دين الإسلام، إلىٰ أن لا يكون في الأرض من يقول الله، فيأمر الله أن تقوم الساعة، فلا تقوم الساعة إلا علىٰ شرار الخلق ليس فيهم من يقول الله ولا حتىٰ اللفظ المفرد (الله) ليس في الأرض من يقول ذلك.

«لا تقوم الساعة حتىٰ لا يقال في الأرض الله الله»(١).

---

(١) أخرجه مسلم حديث (١٤٨)

لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ.

وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ -الْجِنِّ وَالْإِنْسِ-؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. [١١]

---

[١١] هذه هي الخيرية، الدعوة إلى التوحيد وما يليه من الأعمال الصالحة، والتحذير من الشرك وما يليه من الأعمال الطالحة، هذه الخيرية.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

الخيرية في التوحيد، نشره والتحذير من الشرك.

﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] كلكم، فيمتثلون لأمره و ينتهون عن نهيه ويصدقون خبره ولا يمارسون عبادة إلا بطريقه.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]: خلاص، الدين كامل، ما عندنا زيادات، لا في الصلاة ولا في الوضوء ولا في الصيام ولا في الزكاة، اللي ما صار ذاك اليوم دين ما يصير اليوم دين، ما

عندنا شيء جديد، هذا الدين ليس قابل للتطوير، هو ليس معمل حتىٰ يأتي انسان ويطور أو يعطينا إسلام مودرن، إسلام حضاري، إسلام جديد، قراءة جديدة للإسلام فيشرح الإسلام بشرح جديد خُبِّئ خمسة عشر قرن حتىٰ يأتينا الآن يفسر لنا الإسلام بمفهوم جديد!!! من أين لك هذا؟! نحن يسعنا ما في كتاب الله وما أتىٰ عن أبو بكر وعمر وعثمان وعلي الذين اقتدوا بالنبي ﷺ، هذا الذي يسعنا، قال الله، قال رسول الله، قال الصحابة، هذا العلم عندنا، هذا مصدر تلقينا، هؤلاء الخيرية، هذه الإسلام، هذه النجاة، من أراد النجاة في غير القرآن والسنة والصحابة هلك.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء: ١١٥].

﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ من هم؟؟ الصحابة.

إذن منهج السلف ليس اختيار شخصي، واجب شرعي.

﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣]

﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾[هود: ١١٢].

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[البينة: ٥] هذا هو الدين، فالدين كامل ما عاد فيه شيء يزيده فلان ولا يزيده فلان، أمور العقائد لا خلاف فيها، مسائل الفقه نرجع فيها للأدلة، مستجدات العصر هذا اسمه اجتهاد، والاجتهاد مبني علىٰ النصوص ليس الاجتهاد مفلوت لا، مبني علىٰ ما يوافق النصوص، حتىٰ القياس لابد لهذا الفرع الذي أردت أن تبحث عن حكمه من أصل، لابد لهذا الفرع من أصل ويتحد في

العلة حتىٰ يأخذ الحكم.

وهذه أركان القياس الأربعة :

الأصل والفرع والعلة والحكم.

فلا يأخذ حكم الفرع حكم الأصل إلا إذا كان هناك اتحاد في العلة حتىٰ يكون قياس صحيح مكتملة أركانه.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ مَوْتِهِ ﷺ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١]. [١٢]

---

[١٢] النبي ﷺ مات، هذه حقيقة لا يؤمن بها بعض أهل البدع «البريلوية» يرون حياة النبي وأن النبي ليس بشر ولذلك تجدونهم إذا قال حي على الصلاة يجعل يده هكذا على عينيه ويقول الصلاة والسلام عليك يا رسول الله الصلاة والسلام عليك يا نور من نور الله!

«الديوبندية» منهم جماعة التبليغ يرون حياة الأنبياء حياة حقيقية في قبورهم، ولذلك استشهدوا بالرفاعي أنه أتى قبر النبي ﷺ وأنه لما أتاه مد يده إليه وصافحه بمشهد تسعين ألف ولهم كلام كثير في هذه الخرافات.

على كل النبي ﷺ بشر ومات.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] بل هذا واضح في بعض النصوص كما في حديث العرباض بن سارية: (... فقال العرباضُ: صلىٰ بنا رسولُ اللهِ ﷺ ذات يومٍ، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظةً بليغةً، ذرفت منها العيون، ووجِلت منها القلوبُ. فقال قائلٌ: يا رسولَ اللهِ! كأن هذه موعظةُ مُودِّعٍ، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: **«أوصيكم بتقوىٰ اللهِ والسمعِ والطاعةِ وإن عبدًا حبشيًّا، فإنه من يعِشْ منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ المهديّين الراشدين تمسّكوا بها، وعَضّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»**(١)

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) واللفظ له، وأحمد (١٧١٨٥)

قال يا رسول الله كأنها وصية مودع، يعني بتموت فأوصنا.

قال: «**أوصيكم بتقوىٰ الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم (بعدي) فأول شيء قال وصية مودع وهنا أثبت أنه سيموت**»، وأن هناك من الصحابة من سيعيش بعده، وأنه سيحصل بينهم اختلاف «**فإنه من يعِشْ منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا**» ما العلاج؟

«**فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ المهديّين الراشدين تمسّكوا بها، وعَضّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**».

النبي ﷺ أخبر هو عن نفسه أنه سيموت، هو أخبر فهؤلاء يقولون لا هو حاضري هو ناظري هو شاهدي! وعامة الصوفية يرون الحضرة ولذلك لماذا سموا حضرة الذكر حضرة؟ يقولون يحضرها هو حاضري هو شاهدي هو ناظري فسميت الحضرة عند الصوفية لأنهم يقولون أن الرسول ﷺ يحضرها!

فيجيك واحد في حضر موت يقول الرسول عندنا، واللي في باكستان يقول الرسول عندنا، واللي في مكة يقول الرسول عندنا!

الرسول ﷺ كم واحد؟ كلهم يقولون هذا حضور بشري حقيقي، لاحظتم مدىٰ الخرافة؟!

حتىٰ أن أحدهم كان حاضر معهم فأراد أحدهم أن يتكلم وقد أوسعوا المكان فأراد أن يجلس قالوا لا لا الرسول يأتي هنا ما تجلس! فأصبح أحدهم يتكلم فقام هذا الرجل فقال اسكت، قال إيش فيه؟ قال اسكت ولا كلمة! كيف تتكلم والرسول حاضر! الرسول هو اللي يتكلم، هذا الذي أنكر عليهم ليس منهم

لكن أراد أن يحرك التفكير عندهم، ففكروا في أمرهم فعرفوا أنهم في خرافة، فعلا كيف نتكلم والرسول حاضر! الرسول حاضر معنا ونحن نتكلم!

فعلىٰ كلٍّ إذا غلبت الخرافة عاش الناس في الأوهام حمانا الله وإياكم.

الرسول ﷺ مات وقد أدىٰ الأمانة ونصح الأمة وبلّغ دين الله كامل.

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧، ١٨].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١]. [١٣]

---

[١٣] نعم ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [المجادلة: ٦].

فالبعث نؤمن به وهنا ذكر الآية.

يعني يعيش الإنسان في هذه الحياة كم يعيش؟ يعيش ما شاء الله أن يعيش، أعمار الأمة ما بين الستين إلىٰ السبعين.

«أعمارُ أمتي ما بينَ الستِّين إلىٰ السبعينَ وأقلُّهم من يجوزُ ذلِكَ»(١)

كم منها طفل غير مكلف من سنه إلىٰ البلوغ وبعدها إلىٰ الستين ٤٥ عام، كم منها ينام؟ ثلث حياته نائم، كم منها في عبادة؟ ومع ذلك يموت الإنسان فتكون حياته كلها علىٰ هذا العمل الذي عمله في هذه المدة اليسيرة في الحياة.

رسول الله ﷺ منذ مات إلىٰ الآن ألف وأربعمائة سنة، سنين، أبو لهب كم سنة عاش؟ عشر سنين التي عاشها ولها الآن ألف وأربعمائة سنة في قبره يُعذَّب ويوم القيامة في جهنم خالدين فيها أبدا.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥٠)، وابن ماجه (٤٢٣٦)

فهذا محاسب علىٰ مدة بقاءه في تلك الحياة، تلك المدة فيشقىٰ بها أبد الآبدين ودهر الداهرين.

فأنت يا عبدالله انتبه لنفسك، بعضهم يموت في شبابه في العشرين.. ثلثها نوم، وبعد التكليف خمس سنين من حياته إما يشقىٰ بها أو يسعد.

إذن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله شاب نشأ في طاعة الله.

فأنت أيها الرجل حياتك المقبلة ما تدري متىٰ موتك، أصلح من وضعك، بادر، استعد، تب إلىٰ الله، فرصتك، صحِّح، أنت يا من تمارس الصالحات والسيئات اترك السيئات وأقبل علىٰ الصالحات، الموعد علىٰ الله قريب ما ندري متىٰ هو.

أسأل الله أن يحسن لنا ولكم الخاتمة ويجعل خير أيامنا يوم نلقاه، اللهم اجعل خير أيامنا يوم نلقاك.

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧﴾ [التغابن: ٧]. [١٤]

---

[١٤] قال يا محمد أتزعم أن الله يحيي هذه؟ ثم فتّ العظم بيده، فقال الله ﷻ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨ – ٧٩].

آيات عظيمة، يأتي مكابر منكر للبعث فيفت العظم الرميم فيقول من يعيد هذه ونسي من خلق هذا، إيجاد وإعادة الموجود أسهل من إيجاد شيء قبل أن يكون موجود، فمثل هذه الآيات تصعق القوم لأنها تبين لهم حقيقة الجحود والانكار الذي وقعوا فيه.

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. [١٥]

---

[١٥] إذن مهمة الرسل البشارة والنذارة.

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَهُم نُوحٌ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]. [١٦]

---

[١٦] فصلنا مسألة الرسالات والرسل في الأصل الثاني.

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا -مِنْ نُوحٍ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ-؛ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾. [النحل: ٣٦]

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْعِبَادِ: الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، وَالْإِيمَانَ بِاللهِ. [١٧]

---

[١٧] وأول الأنبياء آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: «مَعْنَىٰ الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ -مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ-».

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرَةٌ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ -لَعَنَهُ اللهُ-، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَهَذَا مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَفِي الْحَدِيثِ: «**رَأْسُ الْأَمْرِ: الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ: الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**». [١٨]

---

[١٨] هذا هو الطاغوت، وليس ما أشاع الإخوان المسلمين أن كل حكام المسلمين طواغيت، هذه جالت فترة من الزمن في عقول الناس أن كل حكام المسلمين طواغيت!

الطاغوت هو ما تجاوز به الحد من معبود أو متبوع أو مطاع.

هذا معناه، أي طغىٰ في، أي زاد علىٰ الحد.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]

طغىٰ الماء أي زاد علىٰ حدِّه.

قوله ومن عبد وهو راض: أي أن يأتيه الناس يسألونه محض حق الله ولا

يمانعهم ولا ينكر عليهم، كأن يقول اسألوني اعبدوني ادعوني.

قوله: وَمَنْ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ: أي ادعىٰ أنه يعرف ما في الغد.

قوله: وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ الله: وهو يرىٰ أن حكمه خير من حكم الله أو أن حكمه مساوٍ لحكم الله هذا ينطبق عليه ذلك.

قوله: وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦]:

لا بد أن يكفر بالطاغوت قبل أن يؤمن، لابد أن يكفر به.

﴿كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] أي لا يحق له أن يقول لا إله إلا الله وهو لم يكفر بالطاغوت إذن ما ألَّهَ الله لأن (لا إله): نفي.

فكيف يكون يقولها وهو لا يعمل بمقتضاها، لابد أن يكفر بالطاغوت.

وَاللهُ أَعْلَمُ.

تَمَّتْ بِحَمْدِ اللهِ

الفهرس

مقدمة الناشر ٥
مقدمة الشارح ٧
مقدمة المؤلف ١٢
المسائل الأربع التي تضمنتها سورة العصر ١٤
ثلاث مسائل يجب علىٰ المسلم تعلمها والعمل بها ٤٠
المسألة الأولىٰ ٤٢
المسألة الثانية ٤٤
المسألة الثالثة ٤٦
الأصول الثلاثة التي يجب معرفتها ٥٩
الأصل الأول معرفة الله عَزَّوَجَلَّ ٥٩
[الأصل الثاني] ٩٠
مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ ٩٠
المرتبة الأولىٰ ٩١
المرتبة الثانية ١٠٢
المرتبة الثالثة ١٠٦
[الأصل الثالث] ١١٥
الفهرس ١٤١